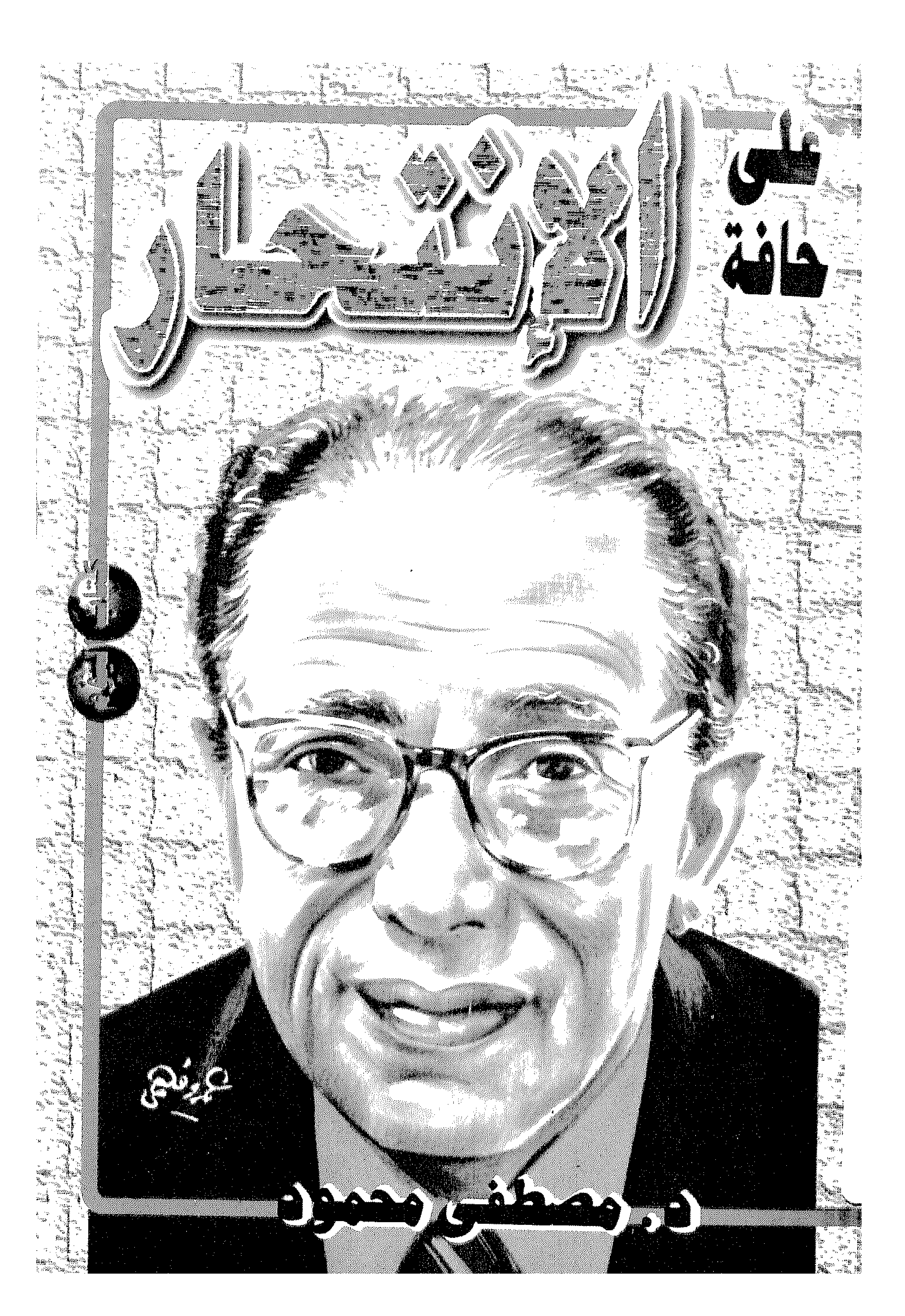

على حافة
الانتحار
د. مصطفى محمود

دار
أخبار اليوم
قطاع الثقافة

# كتاب اليوم

يصدر
أول كل شهر

□ عدد يوليو □

الطبعة الثالثة

# أسعار كتاب اليوم فى الخارج

الجماهيرية العظمى ١ دينار
المغرب ١٧ درهم
لبنان ٢٥٠٠ ليرة
الاردن ١٥٠٠ فلس
العراق ٧٠٠٠ فلس
الكويت ١ دينار
السعودية ١٠ ريالات
السودان ٢٢٠٠ قرش
تونس ٢ دينار
الجزائر ١٧٥٠ سنتيما
سوريا ٧٥ ل. س
الحبشة ٦٠٠ سنت
البحرين ١ دينار
سلطنة عمان ١ ريال
غزة ١٥٠ سنت
ج. اليمنية ١٥٠ ريال
الصومال نيجريا ٨٠ بنى
السنغال ٦٠ فرنك
الإمارات ١٠ درهم
قطر ١٠ ريال
انجلترا ١,٧٥ جك
فرنسا ١٠ فرنك
ألمانيا ١٠ مارك
إيطاليا ٢٠٠٠ ليرة
هولندا ٥ فلورين
باكستان ٣٥ ليرة
سويسرا ٤ فرنك
اليونان ١٠٠ دراخمة
النمسا ٤٠ شلن
الدنمارك ١٥ كرون
السويد ١٥ كرون
الهند ٣٥٠ روبية
كندا أمريكا ٣٠٠ سنت
البرازيل ٤٠٠ كروزيرو
نيويورك واشنطن ٣٥٠ سنتا
لوس انجلوس ٤٠٠ سنت
استراليا ٤٠٠ سنت

## ● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية
قيمة الاشتراك السنوى ٤٨ جنيها مصريا

## البريد الجوى

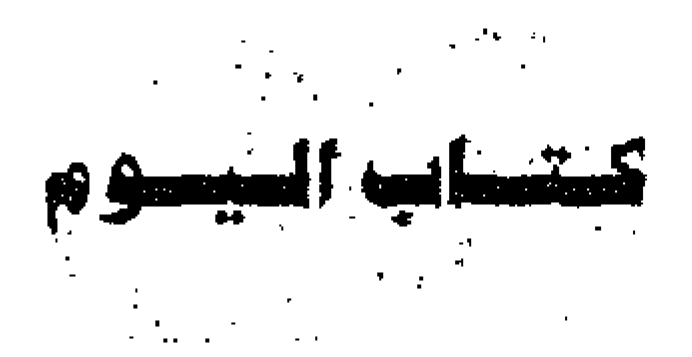
دول اتحاد البريد العربى ٢٥ دولارا
اتحاد البريد الافريقى ٣٠ دولارا
أوربا وأمريكا ٣٥ دولارا
أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا
٤٥ دولارا أمريكيا أو ما يعادله

- ● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
- ● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة
القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ ( ٥ خطوط )
● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠
● تلكس دولى : ٢٠٣٢١٠
● تلكس محلى : ٢٨٢


على حافة
الانتحار
د. مصطفى محمود

**كتاب اليوم**

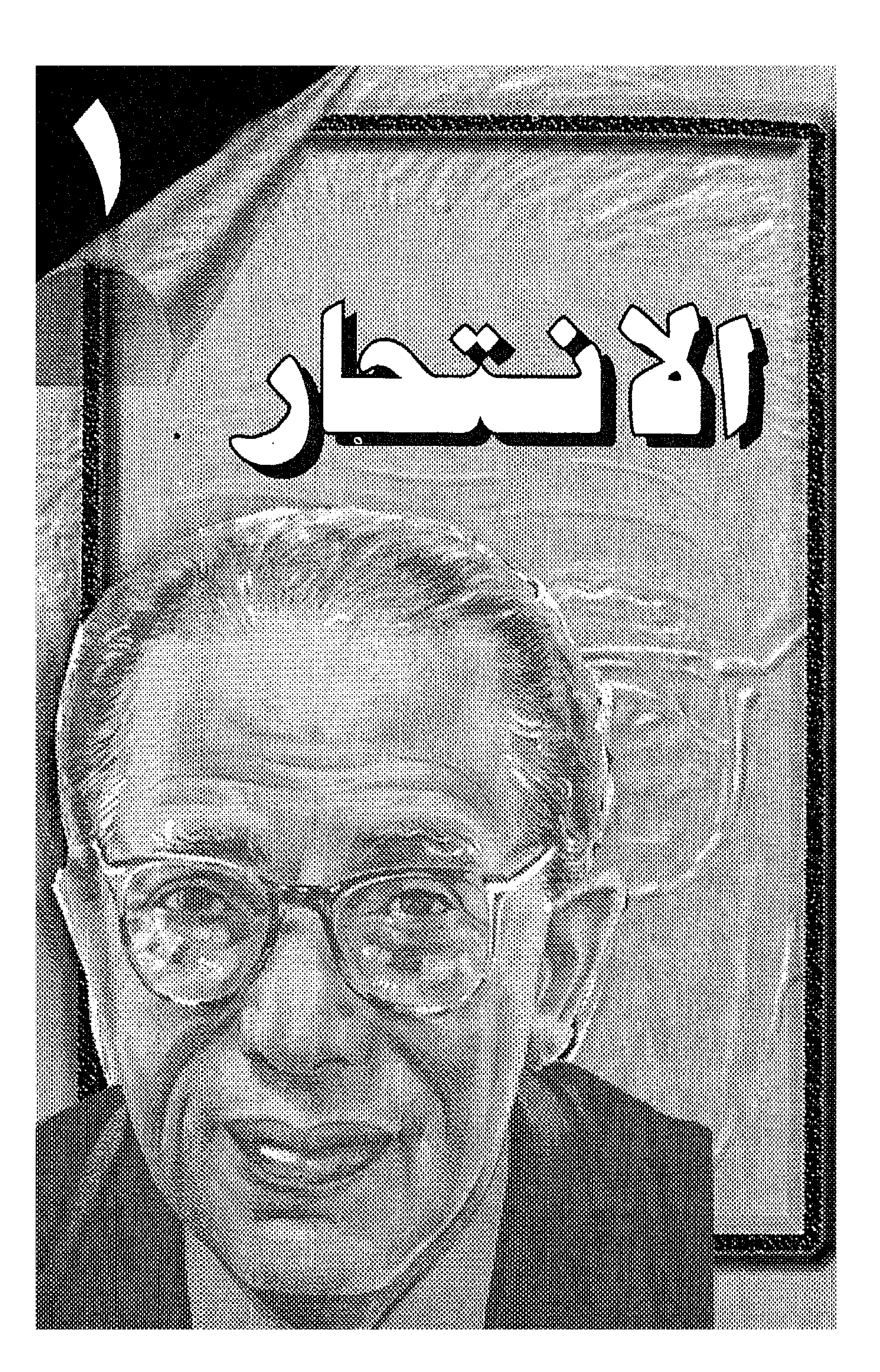



الغلاف بريشة الفنان :

**عمرو فهمى**

الإخراج الفنى :

**أحمد سامح حسين**



١
الانتحار

الهجمات الانتحارية فى داخل إسرائيل معناها.. أن الموت عند الفلسطينى أصبح أهون من ذل الاحتلال.. وهو تصعيد مرعب للصراع.. ولايدخل هذا الانتحار ضمن الإرهاب.. بل هو الفداء فى مواجهة المستحيل.

ولانستهين بأرواح أبرياء تزهق ولانتغاضى عن دماء تهدر بلاذنب ارتكبه أصحابها ولانـدافع عن قتل عشوائى.. ولكننا أمام صورة لمأساة متكاملة لابد من النظر إليها من جميع جوانبها دون الاكتفاء بالتأوهات العاطفية.. فوراء نزيف الدم فى فلسطين هناك تاريخ طويل من المذابح والنسف العشوائى لبيوت الفلسطينيين والطرد والترحيل والتشريد واغتصاب الأرض وكل وسائل الضغط والارهاب والترويع من جماعات صهيونية هى بالفعل عصابات ارهابية محترفة تستمد السلاح والمال والمساندة المعنوية من أمريكا ومن الغرب الأوروبى.. وحينما جاء السلام بعد أربعين سنة من

القتل والتشريد وبعد تهجير أكثر من أربعة ملايين فلسطينى فى أرض الشتات.. جاء سلاما ناقصا وغير عادل ومثقلا بالتشدد والقيود وفى حماية تهديد ذرى غير مشروع وترسانة نووية زرعت فى قلب الوطن العربى لاتجد لها الدول العربية ردا ولادفعا ولاتعرف لها وقاية.. فهل يستغرب أن يكتشف الفلسطينى الضعيف المقهور فى نفسه القوة على تفجير نفسه فى هجمات انتحارية.. هى الأخرى ليس لها رد ولادفاع ولاوقاية ليرد بها على هذا الترويع والتركيع الذى لايجد له حيلة ولايهتدى فيه إلى سبيل.

وماذا يجد الفلسطينى من الضمانات فى عصر السلام.

إنه لايجد من الماء إلا ماتسمح به إسرائيل.. ولايصرح له بدق ماسورة فى أرضه ليستخرج شربة ماء إلا بإذن.. وإسرائيل تسحب الماء من تحت أرض الضفة بمواسير وتقيم عليها نقاط حراسة وعساكر بالرشاشات.. وتفتح أو تغلق محابس الماء على الفلاح الفلسطينى كما تشاء.. وهى تحت دعوى السلام مازالت تستولى على المزيد من الأرض بمعدل ألف وخمسمائة فدان من الأرض الفلسطينية شهريا تضمها إلى أرضها وتبنى عليها المستوطنات الاسرائيلية والمعسكرات ونقاط التفتيش وتحاصر عرفات فى جيوب لايستطيع أن يخرج منها أو يسافر خارجها إلا بفيزا وإذن وتصريح اسرائيلى.

وهو الرئيس الوحيد فى العالم الذى لايحق له أن يتحرك فى بلده إلا بإذن.

وقد وافق ياسر عرفات على هذا الصلح العجيب بعد مشوار مرير وتحت ضغوط دولية وأمريكية مرهقة.

وبالرغم من أن الوضع غير طبيعى بالمرة فقد طلبت أمريكا من جميع الحكومات التطبيع على هذا السلام.

كيف يمكن التطبيع على شىء غير طبيعى؟!!

وقالوا ان أصحاب الحق (عرفات والمنظمة) قبلوا.. فما دخلكم أنتم.. فقبلنا .. ثم أصبحت قاعدة.

وجرى على الكل ماجرى على الفلسطينيين.

فى سوريا طلبوا نصيبا من الجولان السورية ونصيبا من المياه السورية وحقوقا للتفتيش على الجيش السورى والأسلحة السورية والنوايا السورية.. ومازالت المفاوضات تتعثر.

وفى الأردن أعطى الحكم الأردنى الأرض وأعطى التسهيلات وأعطى نفسه وأعطى مستقبله.

شىء غير طبيعى تماما .

ومع ذلك يريدون منا التطبيع على هذا الوضع غير الطبيعى (أن يكون لهم إمكانية الهجوم ولا يكون لنا إمكانية الدفاع.. وكأننا بوسنة أخرى) .

ولكن معنى التطبيع Normalisation يعنى العودة إلى التعامل الطبيعى.. فى الوقت الذى لا يوجد فيه شىء واحد طبيعى .

كيف يمكن أن يكون هذا اتفاق بين أنداد.. وكيف يمكن قبوله وهو يتصف بكل هذا التعالى والغطرسة.. وكيف يساند العالم كل هذا الظلم.. وتؤيد أمريكا كل ذلك الجور .

وكلينتون مشمئز مما يحدث من عنف ودموية فى الأرض المحتلة لأنه ينظر بالعين الإسرائيلية ويسمع بالأذن الصهيونية ويمسك بالميزان المائل الذى يقدمه له الكنيست .

وهو يقول لإسرائيل.. سوف نحارب معكم لفرض هذا السلام .

يحارب من ؟ !!

إن الانتفاضة الدموية هذا المرة.. انتفاضة أفراد.. وسوف يتحول الملايين الستة من الفلسطينيين إلى ستة ملايين قنبلة

مـوقوتـة.. كل واحد قـرر أن يمـوت فى مقابل قتل مـائة إسرائيلى.. لايعرف أحد متى وأين ولا كيف .

وهى حـرب لا تنفـع فيهـا دبـابة ولا طـائرة ولا قنبـلة ذرية ولا CIA ولا جيوش نظـامية.. لأنـه لا يوجـد تنظيم.. وإنما يـوجد فـرد واحد لا أحـد يعرفـه.. لبس حـزام ديناميت وقـرر أن يصنع كارثة .

إنه ضمير يائس مُحبط قرر أن ينفجر فى الناس .

ماذا سوف تصنع أمريكا بالضبط لحصار هذا الهول .

إن العالم حولنا يموج بالعنف .

وفى إيرلندا عنف دمـوى وانفجارات مستمرة من سنين ولا يملك جون ميجور إلا أن يجلس للتفاوض.. ثم تتعثر المفاوضات.. فيعود الطرف المقهور إلى العنف لأنه لا يجد أسلـوبا غيره يقنع به الطرف الغاصب .

والمقهـور والمحتل فى كل مكان لا يسمى إرهـابيا إذا حـاول أن ينتـزع حقه وأن يستعيـد كـرامته بأى وسيلـة.. وحينما تفشل كل الوسائل السلمية لا يبقى أمام المظلوم سوى العنف .

وعلى أرض فلسطين هناك شعب طُرد وشُرد وقُتـل وأُبيد وجربت معه كل وسـائل التعذيب.. وبطول أربعين سنـة من مباشرة المذابح والمجـازر على الشعب الفلسطينى لم نـر أحـداً مـن الـرؤسـاء الأمـريكيين يشمئـز لنـزيف الـدم الفلسطينى المستمـر.. بل رأينـا أمريكا تتوج هذا الظلم بقـرار من الكونجرس تقول فيه للمغتصبين الظلمة .

« والقدس أيضا لكم عاصمة أبدية » .

وألقت أمريكـا بهذا التحدى فى وجـه ألف مليون مسيحى وألف مليون مسلم لهم مقدسات ولهم حقـوق فى القدس أكثر من حقوق اليهود .

واحتج المسلمون واحتج النصارى.. واحتج بابا الفاتيكان.. ومضت أمريكا فى تحيزها الظالم ولم تعبأ بأحد.. ولم يشعر كلينتون بهذا التحيز الجائر وهو يعلن اشمئزازه منذ أيام من الهجمة الانتحارية لرجل حماس الذى أعلن بطريقته.. أنه يرفض الظلم.. وأن الموت عنده أهون من ضياع الأرض والكرامة .

وهى ليست صرخة بلا قضية.. بل هناك قضية بالفعل.. ولابد أن تحل بالعدل إذا أريد لنزيف الدم أن يتوقف .

أما اجتماع العالم كله على شعب ضعيف ومساندة الأمم المتحدة وأوروبا وأمريكا وانجلترا لإسرائيل لكسر ظهر الشعب الفلسطينى وفرض تسوية ظالمة بالشروط الإسرائيلية المجحفة فهو طاغوت وجبروت لن يصنع سلاما ولن يثمر حلا .

وأعود فأقول.. إن الجروح القديمة لا يمكن أن تغلق على صديد.. وإن سلام بلا عدالة هو استسلام وإهدار للكرامة لن يقبله أحد .

وإذا استمرت أمريكا على تحيزها وظلمها واستمرت الصهيونية فى تآمرها الفاجر على حكومات العالم فسوف ينفجر برميل البارود وتفتح أبواب الجحيم .

وسوف يدفع الجميع الثمن .

ولن تستطيع الترسانة الذرية أن تفعل شيئا.. فإن القنابل الذرية لا تستطيع أن تنسف أرواحا .

ولن تستطيع أجهزة التخابر أن تكتشف قلبا قرر صاحبه أن يموت .

ولا نحب العنف ونـــرفضـــه مــن جميع الأطـــراف.. ولكن على الأقوياء أن يقوموا بـالخطوة الأولى التى تكفل العدالة للضعاف قبل أن يتباروا فى التهديد والوعيد .

وها نحن قد بدأنا بالملاينة والمهادنة واجتمعنا ثلاث عشرة دولة عربيـة فى شرم الشيخ مع كل أقطـاب العالم نمد الأيـدى لإسرائيل بـالسلام ونبـذ الارهـاب والآن وقـد رضى القتيل.. فهل سيرضى القاتل.. ؟؟ !!

وهل تذوب أحقاد الألفى سنة .. ؟ !!

أشك فى ذلك.. وأرى الدمار على طول الطريق وها هى البشائر.. خمسمائة قـذيفة تنهمـر على الجنوب اللبنـانى أثناء مـؤتمر المودة والمحبة فى شرم الشيخ.. والبقية تأتى .

## نهـاية عصر الحـب

ومن نزيف الدم فى فلسطين إلى نزيف من نوع آخر يوجع القلب ويؤذن بنهـاية عصر الحب والـوفاء وانهيـار لقيم الأسرة ولقـداسة الرباط الزوجى .

ويحدث هذا فى بريطانيا مسقط رأس روميـو وجولييت وعاصمة الغرام الأبدى الذى تغنى به شكسبير .

وجولييت الجديدة هى الأميرة ديانـا وروميو الجديد هو البرنس تشارلز اللذان بدأ زواجهما بعاصفة من الرومانسية وأكاليل الورد وعقـود البنفسج وانتهى إلى مسـاومـــة على ثمن الطـلاق وأسعـار الانفصال .

جولييت ترفـض الخمسة عشر مليونا وتطلب ثلاثين مليـونا من الجنيهات الإسترلينية أى حوالى ستـة وأربعين مليون دولار بمعدل ١٤ألف دولار عن كل ليلـة زواج بالاضـافـة إلى الاحتفاظ بـالقصر الملكى لإقامتها وبالألقاب الملكية والوظائف الفخرية .

وقد اعترفت جوليبيت وفى هدوء عجيب أمـام عدسات التليفزيون بأنها خـانت زوجها لعـدة سنوات وأنها شـاركت عشيقها الفـراش وكانت تحبـه وتعبده.. وأن زوجها فعـل نفس الشىء.. وأنها كانت تعلم بعلاقته .

وكله مكسب .

لقـد كسبت الشهــرة بـزواجهـا وكسبت الملايين بطــلاقهـا.. وخـانتـه.. وعـربــدت واستمتعت.. ولم تخسر شيئـا.. حتى حمرة الخجل لم تظهر على خديها أمام مئات الملايين الذين شاهدوها على الشاشة الصغيرة .

وأخطر ما فى الموضوع أنها أعطت المثـال لشباب وشابات الجيل الجديد.. ومـن أعلى منصة.. من عـرش الملكية البريطـانية صـاحبة التقاليد العتيدة .

ولتحيا اللذة والفرفشة ولتحيا الملايين وليحيا العبث..

وليسقط الحب وليـذهب الحيـاء والـوفاء والـربـاط الأسرى إلى الجحيم .

حقا .. إننا نعيش عصرا جديدا لا نعرفه .

كيف توارت الفضائل فى خجل وكيف تسابقت الخيـانة الزوجية إلى مقعد الشرعيـة تتباهى وتتهتك أمـام الكاميرات.. ثم لا أحـد من الجمهور يستنكـر.. أو يرى عيبـا يدعو إلى مـؤاخذة.. بل قـالوا إن الأميرة ديانا قد كسبت شعبية أكثر بعد حديثها التليفزيونى .

وقـديما أهلك الله قـوم نـوح بكفرهـم وأهلك قوم عـاد بظلمهم وقـوم صـالح وشعيب بفســادهم وغشـهم فى الموازين وقـوم لـوط بشـذوذهم الجنسى ونجـد كـل هـذا يجتمع فى عصرنـا.. ويبث فى القنوات الفضـائية ويعلنه أصـحابه أمام الكاميرات ويتفاخرون به فى المجـالـس.. وتظهــر مجلات متخصصـــة فى العــرى ومجلات

متخصصة فى الجنس.. وتتـداول أقراص للنشوة ومخدرات لإطـالة اللذة.. وكل هذا يباع على الأرصفة .

والله من أسمائه .. أنه الصبور .

## الشيـخ محمـد الغـزالى

رحل عنـارجل كـان أمة.. هـو الشيخ والإمـام والفقيه الإنسـان محمد الغزالى.. وترك فراغا لا يستطيع أحد أن يملأه .

وكما تغيب الشمس وتأخذ الظلمة بجماع القلوب هكذا كان خبر وفاتـه بالنسبـة لى فقد كـان أخا ووالـدا ومعلما ودليلا إلى الخير.. وكان يحب الإسـلام بهوى قلبه ويبكى لما يجرى على المسلمين من ويلات كأنهم فلذات كبده .

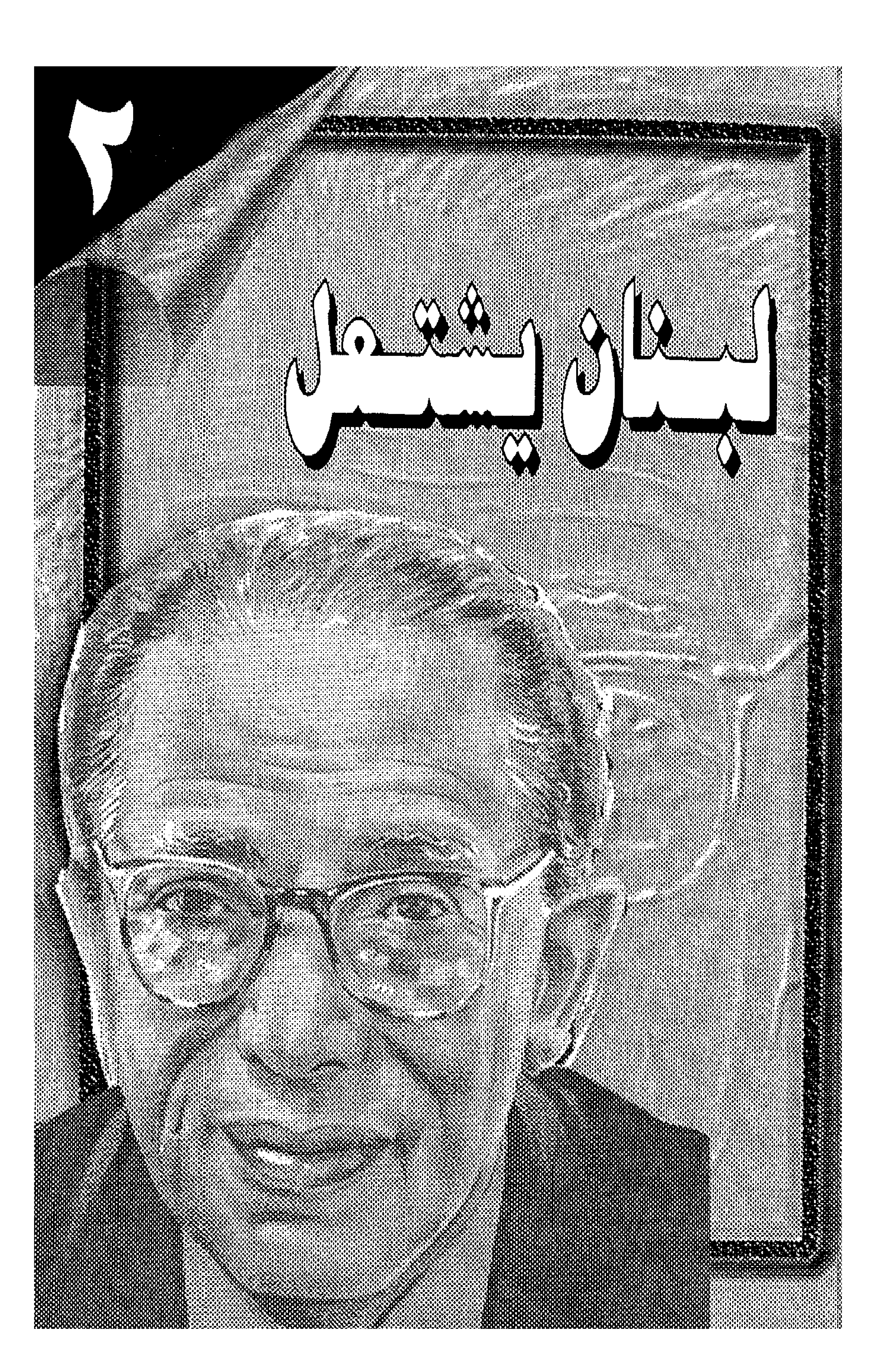
وكان ودودا ، رفيقا ، وديعا ، خيرا.. ونورا فى ليل هذا الزمان .

وبموته رفعت رحمة كانت تشملنا بحمايتها.. وغدونا أيتاما .

ومن قبل ذلك رحل عنـا صوت مدو للحـرية كنـا نحبه ونجتمع حوله هو خالد محمد خالد واشتد بنا ظلام الوحدة .

وجاءتنـا الأخبار بصقيع تتجمـد له الأطـراف وظلم يلف العالم ويخيم على كل أرض تعلو فيها همسة لا إله إلا الله .

وصـوت الحادى يقـول.. تجمعــوا.. اتحدوا.. إلـزمـوا الصف.. ونحن نتفرق.. ونتباعد.. ولا حول ولا قوة إلا بالله .



٢
لبنان يشتعل

لقد وقعت إسرائيل فى خطأ قاتل حينما ظنت أن السلام مع لبنان يمكن أن يأتى بالإكراه وبقنابل الطائرات.. وليس صحيحا أن ماتخشاه إسرائيل من لبنان وسوريا هو حزب الله.. وإنما إسرائيل تنظر إلى بعيد.. إلى حلمها بأن تحكم الشرق الأوسط اقتصاديا وتجاريا.. وهى تعلم تماما أن لبنان وسوريا هما أباطرة التجارة وملوك السوق وأن المنافسة أمامهما لن تكون سهلة وأن المهارات اللبنانية والسورية لن تنهزم أمام الذكاء اليهودى وأن اللبنانى والسورى أشطر من اليهودى وأقرب إلى قلوب الإخوة العرب وهم يعلمون فى الغرب أن بيروت هى الملجأ الآمن للثروات العربية المهاجرة.. ويعلمون أن بنوك بيروت وبورصة بيروت هى الوعاء المفضل الذى تصب فيه فوائض المال العربى وأمريكا لاتريد للمال العربى مقرا ولا مستقرا سوى بنوكها وإسرائيل تريد أن تهدم هذه الكعبة اللبنانية الجاذبة للمال والمسيطرة على التجارة

وتريد تخويف أصحاب رؤوس الأموال ومنعهم من الاقتراب من بيروت.. ولهذا تلجأ الى سلاحها الأخير.. محاولة حرق الأرض اللبنانية ودك البنية الأساسية للشعب اللبنانى بالطائرات.. وهى بذلك قد أخطأت مرتين.. فهى قد زرعت الكراهية والعداوة والشر.. وهى ثانيا قد خسرت السلام إلى الأبد.. وأكثر من ذلك قد أعطت المثال لكل الجيران العرب الذين صدقوا السلام وأمنوا الى وعود إسرائيل بأنهم لن يحصدوا من هذه الصداقة الإسرائيلية إلا المر والعلقم.

ونسيت إسرائيل أن قنابلها التى تطارد أهل الجنوب اللبنانى وتسوقهم أذلاء مشردين هى نفسها التى سوف تخلق فيهم البطل والمقاتل والفدائى الذى لن يعرف للسلام اسما ولن يرى له معنى قبل أن يصرع هذا المسخ الكريه الذى اسمه.. إسرائيل.

نعم.. إن اسرائيل تصنع من العرب الودعاء المستسلمين أبطالا دون أن تدرى.. وهى تؤكد فى وعيهم صيحة القرآن:

« خذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » (٥ ـ التوبة).

« واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم » (١٩١ـ البقرة).

« قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » (١٤ـ التوبة )

« وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » (٣٦ ـ التوبة).

وإذا كنا لا نملك كدول وسائل هذا القتال المتكافئ الآن.. فإننا نملك تلك الوسائل كأفراد.. والعجز سوف يخلق الارهاب.. ولن تعرف إسرائيل طعم الأمان.. ولا طعم النوم الهنيء بعد اليوم.

وإسرائيل وقعت فى التناقض مع نفسها فهى قد خلقت الارهاب فى جميع خصومها من حيث أرادت السلام.. وهى قد حفزتهم إلى

الانتقــام مــن حيث أرادت أن تحثهم على التنــازل والتســـامح والتفاهم.. وهى تمضى فى طريقها للتناقض مع النفس أكثر وأكثر.

وإذا كانت قد كسبت الى صفها حكام العــالم بالمكر وبالمصالح الانتخابيــة وبالــرشاوى لبعض الــوقت فإنها قد استفـزت شعوب العالم إلى نفور وإلى اشمئزاز ســوف يتراكم طول الوقت ثم ينفجر انفجارا غير محسوب.

والشعوب فى الغــرب لها صوت أعلى من صوت شعــوبنا.. ولها فعــالية أكثــر من فعــالية شعــوبنا.. لأن الــديمقــراطية عنــدهم لها حضور أكبر وفعل أكبر.. والمستقبل ســوف يتحرك فى اتجاه مضاد لما ترسم له القيادات الصهيونية.

ولأن إسرائيل تــدرك هــذا كلــه. فإنها تــريــد أن تنتهى من الموضوع كله بسرعة.. وتخطط لنصر سريع يبدل التاريخ لصالحها وينشىء واقعــا جــديــدا على الأرض يستحيل تغييره.. ولا بــديل أمــامهــا غير هــذا التسريع للحــوادث.. لأن امتــداد الــزمن ليس فى صــالحهــا.. ولأنها تستطيع أن تخدع العالم بعض الــوقت ولكنهــا لاتستطيع أن تخدعه طــول الوقت فــالمكر السيىء لا يلبث طــويلا حتى يفتضــح.. والــرائحــة النتنــة لأفعــالها لن تلبــث حتى تغــدو إحساسا عاما.

ولهذا أقول إن هذه التمثيلية لن تطول.

وســوف نفيق على حقيقة نسيناها جميعا اسمها.

## العــدو الإســرائيلى

إن كلمــة العدو الإسرائيلى اختفت من لغــة التخاطب الــرسمى لجميع الدول العــربية.. وكــان هذا الاختفــاء مثل دفن الرؤوس فى الرمــال فالعــدوان مستمر ولم يتــوقف.. والقنابل تتســاقط فى هذه اللحظة على رؤوس اللبنانيين فى الجنوب وفرقعات الرصاص تدوى

فى القرى الفلسطينية وركام البيوت المهدومة ينهار وسط سحب الغبار وطوابير اللاجئين وفلول المشردين تجرى مرتاعة هنا وهناك.. وحصار التجويع مضروب على الأخوة.. إنها حرب معلنة.. ولا أحد ينطق بكلمة العدو الإسرائيلى.. ولا تظهر هذه الكلمة فى بيان حكومى رسمى.. وإنما يتكلم الكل عن سلام وهمى ويتصافحون عبر أجهزة الاعلام فى تكلف بغيض.

اختفت كلمة الجهاد من القاموس.

ونفهم أن المخاطرة غير واردة فى ظروف غير متكافئة.. والإقدام على حرب مع إسرائيل بدون استعداد وفى مواجهة تأييد أمريكى وغربى بل وروسى أيضا لهذا العدوان الإسرائيلى هو انتحار لا أحد ينصح به.. ولكن اصطناع الصداقة والتكلف الرسمى لحسن العلاقات هو أيضا شىء مبتذل غير مفهوم. وخداع للنفس مقيت.

والتعمية على الخطر الإسرائيلى أمر غير مطلوب.

وقبول السلام بشروط إسرائيلية لن يصنع سلاما.

كما أن الخضوع والاستسلام واستبعاد المواجهة تماما بحجة التنمية ليس عذرا فطائرة واحدة فى غارة يمكنها أن تدمر البنية الأساسية فى أى عاصمة وتنسف التنمية من أساسها وتعود بالمجتمع مائة سنة إلى الوراء وترفع الديون إلى مئات المليارات.. هكذا فى ساعات.. وقد فعلتها إسرائيل فى لبنان وبدون أن تعلن عليها لبنان حربا.

إن الخطر حقيقى.. والعداوة حقيقية.. وكما ذكرنا من قبل.. هى فى توراة هؤلاء الناس وفى عقائدهم وفى دمائهم.. وإسرائيل دولة يهودية وليست دولة علمانية.. إنها «موعود» التوراة بالنسبة لهؤلاء الناس.

وعلى الحكومات العربية أن تنظر إلى الموضوع نظرة واقعية

فالمواجهة قادمة لامحالة.. ولا نملك أكثر من تأجيلها. ونظلم أنفسنا إذا كذبنا على أنفسنا.. ونضلل شعوبنا إذا أخفينا عنها تلك الأخطار.. والاستعداد لهذا اليوم واجب.

نفاوض.. نعم.. ولكن نستعد ونتسلح.. يد تصافح واليد الأخرى على الزناد كما كان يقول رابين..

ونتكلم عن السلام ونستعد للحرب كما يفعلون. وهو أمر مكلف. ولكن هذا قدرنا.

واذا كان الله قد أراد لنا «ذات الشوكة» و( قرآننا يقول هذا) فلا مهرب.

ومصارحة الشعوب بالحقائق أفضل من تنويمها وتخديرها بالآمال.. ونجوع بعض الشيء ولا نتشرد وتنهدم علينا بيوتنا.

وتطوير الدفاعات الأرضية وصواريخ أرض جو والصواريخ المحمولة على الكتف لمواجهة الطائرات المقاتلة الحديثة المزودة بأجهزة التشويش الرادارى هو أمر لابد منه.. ويجب أن نبدأ فيه من اليوم.. بل من الآن.

إن تنويم الشعوب على هدهدة السلام الكاذب غلطة فى حق جيلنا وفى حق الأجيال البريئة القادمة.

## مطلوب صحوة عسكرية

ولن نبدأ بقتال أحد.. ولا نريد قتال أحد.. ولكننا بنفس القدر لا نريد أن نؤخذ على غرة.. ولا نقبل باقتحام طائرة معتدية لحدودنا تخرج بعد ذلك من مجالنا الجوى سالمة.

والتسليح سوف يأخذ من لقمتنا.. ولكن هذا أفضل من أن يأخذ الأعداء من أرضنا وبيوتنا وشرفنا ومستقبلنا.

نريد إعلاما أكثر جدية وتليفزيونا أكثر صحوة وصحافة أقوى نبضا فى الدواهى التى تحيط بنا.

إن صداقة شيراك لم تنفع لبنان.. ولبنـان الديمقراطية العلمانية لم تجد عونا من الغرب العلمانى.. وهم جميعا لم يعبأوا بنا.

نحن فى عـالم لا يحترم إلا القوة.. فلنكـن أقويـاء لا مستسلمين ودعاء.

كفى استرخاء..

إن الاسـترخاء قتل أرواحنا وأمات قلوبنا.

إن الطائرات المقـاتلة الإسرائيلية تـزأر فى سماء عاصمة عـربية حبيبة.. بينما تمرح فى أجوائنا الطائرات الشراعية..

نقول جميعا.. لا.. لهذا التطبيع.. لا نشترى ولا نتاجر مع قتلة.. ونعود الى قرار المقاطعة.. ونقف معـا كلنا كأصحاب مصير واحد.. ونستعد للأسوأ.

وإن لم نستطع أن نفعل هـذا.. فلنبك على مستقبلنا فقـد حكمنا على أهلنا بالتشرد وعلى أبنـائنا باليتم وعلى نسـائنـا بالامتهان وعلى أرضنا بالضياع.

إن الزمن يجرى. والموت أقرب إلى الكل من حبل الوريد..

والصدمات التى نتلقاها كل يوم تحيى الموتى فمابال الأحياء.

ونحن أحياء على ما أظن..

أليس كذلك..؟!!

## وهـــذا العبث

وماذا يجرى فى أفغانستـان.. ماذا يجرى على هذا المسرح العبثى العجيب..؟؟!!

المجاهـدون الذين انتصروا على روسيـا وقهروا الآلة العسكـرية الـروسيـة العمـلاقـة وحـرروا بلـدهم.. كيف انقلبـوا على أنفسـهم ونكسوا على رؤوسـهم.. وأخذوا يوجهـون الرصاص الى صدورهم ويفجرون القنابل فى بيوتهم.

ماذا حدث..؟!!

من الواضح أن المال الأمريكى الذى أنفق على تجميع وتسليح تلك العصابة بدأ ينفق أخيرا وبسخاء لتفريقها وتمزيقها مزقا وشراذم.. والمحركون للأحداث اتجهت نيتهم إلى حرمان الأفغان من ثمار نصرهم وإلى أكثر من ذلك.. تصفيتهم.. وبأيديهم هم.

وكانت المهمة سهلة لأن روح القبيلة والتنازع على الغنائم وشهوة الدنيا غلبت على هؤلاء المجاهدين فأصبحت كل قيادة تقاتل من أجل مصالحها وأطماعها فى الحكم.. وبذلك أصبح من السهل الإيقاع بها جميعا فى مستنقع الصراع على السلطة.. وكان ذلك أفضل بالنسبة للمخرجين وراء الكواليس.. أن تتمزق الراية الإسلامية بأيدى المسلمين أنفسهم.. بأيدى حكمتيار وربانى وسياف وشاه مسعود.. حتى لا تبقى بطولة ولا أبطال.. ولا مزاعم بأن الإسلام كان له فضل فى شىء.. أو أنه يصلح لأى شىء.

وهكذا ارتدت شوكة هؤلاء المقاتلين وبالا عليهم.. ورأيناهم يقاتلون بعضهم بعضا وبنفس الشراسة ورأينا ذلك المسرح العبثى العجيب الذى لا ينفض إلا ليبدأ.

واستمر هذا الاستنزاف سنوات بدون جدوى.. حتى خارت قوى الجميع وبدأ يغلب عليهم صوت العقل.. وبدأوا يتفاوضون.

ولكن صحوة العقل كانت غير مطلوبة.. بل كان المطلوب هو التصفية الكاملة لهذا الدين والمقاتلين فى سبيله.

واتجه المال الأمريكى بمعونة الحليف الباكستانى إلى تبنى فريق يشعل الجنون من جديد هم «الطالبان» وهم طلبة الشريعة الذين يقولون أنهم وحدهم حملة لواء الأصولية الإسلامية.

وكان أمرا عجيبا أن يدخل هذا الجيش من الفقراء الحرب بين يوم وليلة مسلحا بالمدافع والدبابات وأكثر من عشرين طائرة

مقاتلـة.. من أين جاءهم ذلك السلاح.. ومـن أين تدفقت عليهم تلك الملايين من الدولارات؟

مـرة أخـرى.. هـم المخرجـون وراء الكـواليس الـذين أرادوا أن يشقـوا الصف الذى أوشك أن يلتئم.. فأغـدقـوا المال بلا حسـاب وألقوا فى آتون المعركة بالأسلحة بلا حدود.

وحاصرت قـوات الطالبان كـابول وأمطـرتها بوابل من النيران.. وامتد الخراب الى كل شارع وسقط قتلى من المدنيين بلا عدد.

وظهرت كتائب من «الطالبان» على شاشات cnn.

وفى حوار مرسوم بعناية.. سأل المذيع أحد المقاتلين ماذا يريد.. فأجـاب المقاتل وهـو طـالب شريعـة: نريـد العـودة إلى الأصوليـة المحمدية.. نريد أن نعيش كما كان يعيش السلف الصالح.. مدارس البنـات تغلق.. لا تعليم للبنات.. والإذاعـة لا تـذيع سوى القـرآن.. وأجهزة التليفـزيون تجمع وتـدمر (ورأينـا فى المشهد أكـواما من أجهـزة التليفـزيـون مجمـوعـــة لتـدميرهـا).. الموسيقى حـرام.. الموسيقى الوحيدة التى يسمح بها الإسـلام هى طبول الحرب وما عدا ذلك كفر..

وتكررت إذاعـة هذا الحديـث فى الـCNN عدة مـرات كل يوم وكأنما عثروا على تحفة.

فمن أجل هذا الكلام المذاع على العـالم أنفقوا على هؤلاء الشباب الصغار وسلحوهم بالدبابات والطائرات وأطلقوهم ليدمروا بلادهم وليفسدوا فيها..

وعلى لسـان هؤلاء الحمقى قـالـوا كل ما يـريـدون.. فهذا هـو الإسـلام.. وهـذه هى الأصـولية المحمديـة.. الجهل والحقـد وتدمير الحضارة.

الإسـلام ضـد العلم.. الإسلام ضد المرأة.. الإسـلام ضد الفن.. الإسلام ضد الأمن والأمان.

ولم يدرك المشاهد.. أن وراء هذه المسرحية العبثية إخراجا متقنا وأموالا تغدق وعقولا تخطط للتضليل والتشويه.. وأن ما يحدث فى أفغانستان لم يكن أمرا تلقائيا.. وإنما كان ذكاء شريرا يهدف الى بعيد.

لقد اختاروا كتيبة من الأولاد الجهلة ووضعوا فى أيديها الكلاشنكوف والقنابل والمتفجرات وصنعوا منها إعلانا مجانيا عن الإسلام كما أرادوا أن يظهروه للعالم.

وغاب عن عقول هؤلاء الصغار الذين رفضوا التليفزيون لأنه اختراع الكفرة أنهم قد عانقوا الكلاشنكوف والمورتار رغم أنها هى الأخرى اختراعات الكفرة.. وأنهم ناقضوا أنفسهم.. وماكانوا ليفتوا فيما لايفهمون.

ولكنها مسرحية عبثية تنفق على إخراجها الملايين بل المليارات.

وهم ينفقون بكل هذا السخاء ليؤلبوا العالم على كل ما هو إسلامى.. وليشعلوا المعارك والحروب والنزاعات فى كل مكان ولوقتل فيها الألوف وسالت الدماء.. وحفرت القبور الجماعية.. وانهار اقتصاد الشعوب.

والذى يشك فى كلامى.. عليه أن يجيب على هذا السؤال البسيط:

كيف امتلكت كتائب الطالبان (وهم طلبة الشريعة الفقراء) بين يوم وليلة المدافع والدبابات والطائرات والصواريخ والذخائر؟؟!!

كيف يستمر الفقراء الحفاة ثلاث سنوات فى حرب بالأسلحة المتطورة والدبابات والطائرات.. دون أن يكون هناك ممول يمد هذه النار بالوقود؟

من أين لهم بهذا المدد .. ومن أين لهم بهذا المال؟ إن الدول لاتستطيع بهذه السهولة أن تحصل على مثل تلك الأسلحة.

إنها أموال هائلة تتدفق من خارج أفغانستان لإشعال النار كلما خبت.

روسيا تـدفع بالأسلحـة لتنتقم لما أصابها من عـار الهزيمة على يد الأفغان.. والمال الأمـريكى يتدفق.. والمكر الصهيونى الـذى يريد أن يكسر شوكة الإسلام فى كل مكان.. والخوف القديم من الإسلام الذى وصل إلى بـوابة أوروبا وأسقـط أمبراطورية الـروم والفرس.. وأحقـاد ألف عام.. وصـوت نيكسون القـادم من القبر.. فرغنـا من الشيوعية ولم يبق لنا عدو سوى الإسلام.

ولقد رأينـا فى بلدنـا أموالا ممـاثلة تتدفـق من الخارج لعمليات تخريب وإرهـاب تحت مزاعم مشـابهة وبدعـوى تنفيذ أحكـام الله وشرع الله فى الأرض يتبنـاهـا شباب جـاهل بـدينـه لا يعـرف من القـرآن إلا آيـة واحـدة «ومن لم يحكم بما أنـزل الله فأولئك هم الكافرون» وفى صيغـة أخرى هم الظالمون.. وفى صيغة ثـالثة.. هم الفـاسقـون.. وهى آيـات نزلت فى قـوم من أهل الكتـاب يحرفـون الآيـات ويقـولـون على الله مـا لم يقل ويكتبـون الكتـاب بأيـديهم ويقـولون هـو من عنـد الله.. ومع ذلك هم حملوا تلك الآيـات على الكل وراحـوا يكفرون بها الكل.. من آمـن ومن لم يؤمن.. ونصبـوا أنفسهم قضـاة على النـاس يحكمـون بـالإعـدام عنـد أى شبهـة.. وأكثـرهـم أولاد ليس عنـدهم فقـه ولا علم ولكن عنـدهم تكليف بـالقتل.. ومن ورائهم عصـابات مأجـورة.. وهم لا يختلفـون عن ذلك الفتى من « الطالبان » الـذى يقول إن الموسيقى حرام وإن كل ما عدا طبول الحرب كفر.

وهـؤلاء الأولاد لا يعبرون عـن الإسـلام ولا يعـرفـونـه وإنما يعبرون عن الـذين استأجروهم وكلفـوهم وموّلـوهم.. يعبرون عن أعداء الإسـلام الحاقدين الذين لايـريدون بالإسـلام إلا الزوال من الأرض.

والإسلام غير هذا الهراء الذي يـرددونه.. وهو دين رحمة ودين

عفـو ودين مغفـرة ودين يـوسع على النـاس ولا يضيق عليهم عيشتهم وهـو دين علم ودين تقـدم ودين حضارة.. والله يقـول فى حديث قدسى.. لو لم تذنبوا لأتيت بمن يذنبون ويستغفرون فأغفر لهم.. ويقول للمذنب.. لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقـراب الأرض مغفرة.. ويقول فى كتابـه الكريم.. «قل يـا عبادى الـذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطـوا من رحمة الله.. إن الله يغفر الذنـوب جميعا».. « فأنيبوا إلى ربكم ».. وهو يفـرح بذلك العبد المنيب الأواب التائب فرحة البدوى بنـاقته الضالة يعثر عليها فى الفلاه..

وهـو دين علم.. أول مـا نزل من آيـاتـه.. «إقرأ» والله يقـول فى قرآنه أنه يرفع الذين أوتوا العلم درجات..

والله عفو كريم يلتمس لنا الحسنة ليمحو بها السيئة فيعفو عن الخاطئـة التى أطعمت قطة وعن المذنب الـذى سقى كلبا.. ويـدخل الذين بكوا من خشيته الى الجنة.

ورحمة الله وسعت كل شـىء.. وهـو يقـول جل من قـائل.. « ورحمتى وسعت كل شىء ».

وذلك هو الإسلام ورب الإسلام.

ولكن للإسلام أعداء يريدون طمس هذا الوجه المضىء وإخفاء هذه المبادىء الرفيعة وتقديم الإسلام من خلال أيـد مجرمة تقطر دما وعقـول مغلقة تقطر غباء وهم ينفقـون فى سبيل ذلك كل غال وثمين..

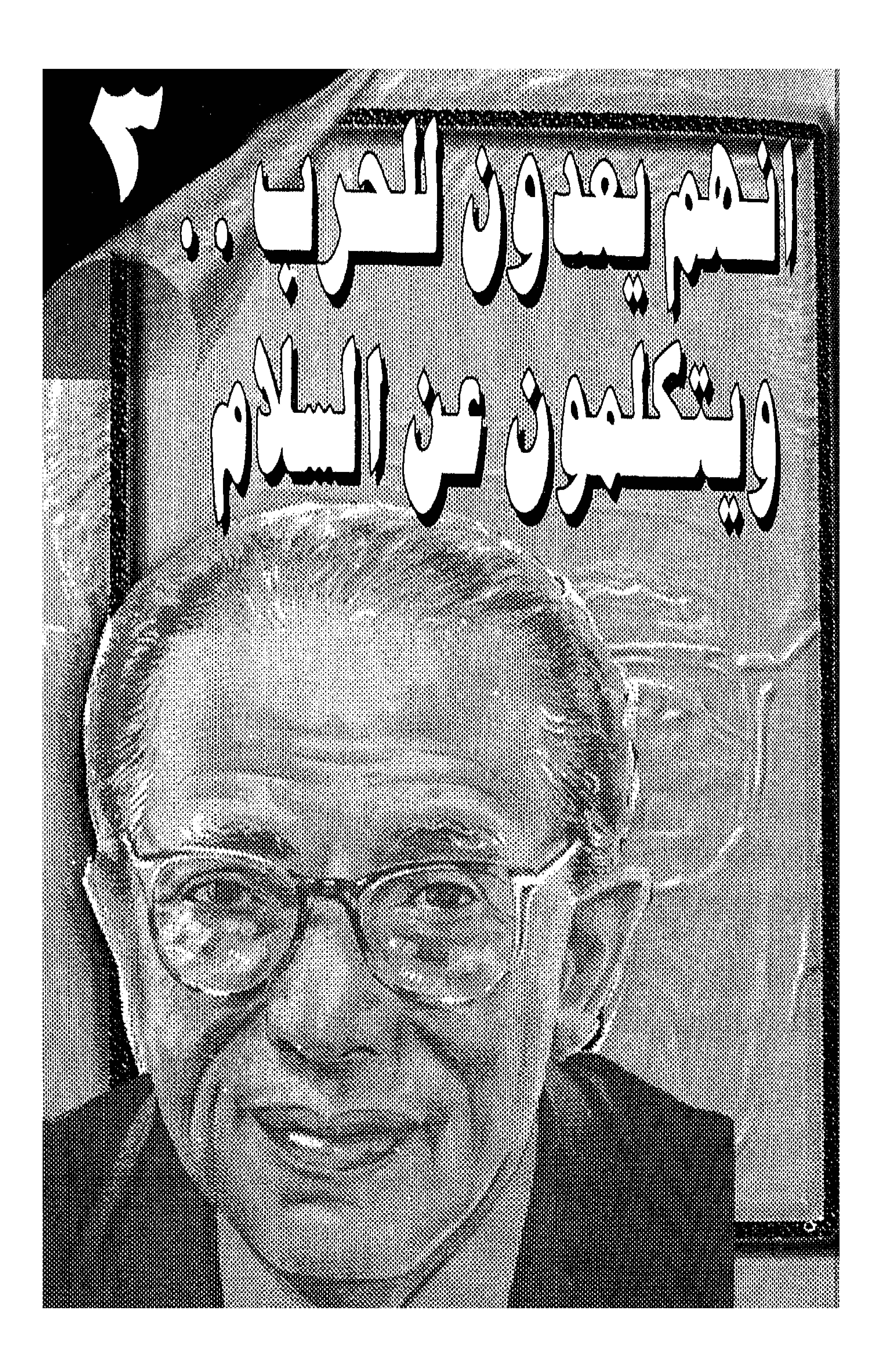
مليارات تتدفق بسفاهة من أجل هذا الهدف..

وصدق الله العظيم.

« فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون»

(٢٦ ـ الأنفال).

هكذا تقول الآية وكأنما أنزلها الله لأيامنا هذه..
وكأنها تخاطبنا.
«والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون»
(٢١ - يوسف)
وأكثرهم بالفعل لا يعلمون.


٣
انهم يعدون للحرب..
ويتكلمون عن السلام

ما يجب أن نفهمه ونعيه تماما أننـا لسنا مقبلون على سلام مع إسرائيل وإنما نحن مقبلـون على مـواجهـة.. فالـواقع الـذى نـراه يخالف الأحلام التى تغـرقنا فيها شعارات السـلام.. وما يحدث فى إسرائيل يخالف التصريحات التـى تخرج على لسـان سـاستهـا.. وسلام الـرعب الذى تبثـه إسرائيل عن طـريق ترسـانتها النـووية وتحالفاتها الدفاعيـة مع تركيا لحصار المنطقة وانـدفاعها المستمر نحـو المزيـد من التسلح ونبرة الاحتشـاد والتهـديـد والاستنفـار ووضع الاستعداد الذى تتخذه طـول الوقت كأنما تقف على أطراف أصابعها كل هذا يثير فى المواطن المصرى حالة توتر مستمر ورفض لأى ذكر لتطبيع وأى تقبل ومعايشة.

ووضوح هـذه الرؤية فى هـذه المرحلة التاريخيـة مطلوب.. حتى يأتى الفعل السياسى منـاسبا للـواقع.. وليس تطمينا وتهدئة بينما البركان يغلى من تحتنا.

والإعلام السليم والمثمر هو الإعلام الذى يعكس الواقع ولايغرق فى الأحلام ولايغنى مع الأمانى والشعارات.. ولا يرقص فى محافل من الطبل والزمر ومن تحته براميل البارود.

والترويح مقبول ومرغوب والترفيه وارد دائما ولكن ليس لدرجة الاسترخاء والنوم فى العسل.

وأمام ما تأتينا به الأخبار من تهديدات نقلا عن وكالة رويتر.. وما تقوله منظمات يهودية مثل «كاهان شاى» وغيرها فى نشرات متكررة.. حياة المسلمين فى أيدينا أينما كانوا.. ونحن نحذركم أيها المسلمون.. إن حياتكم فى أيدينا مثل حياة الشاه بين يدى الجزار.. وستلقون حتفكم على أيدينا..

كل هذا الحقد والهوس فى خلفية المشهد التفاوضى الذى يتصافح فيه الأطراف ويتبادلون البسمات الباهتة.. بينما الدماء تغطى وجوه الأبرياء فى قانا.. والقنابل تنفجر فى المرافق الحيوية فى قلب بيروت..

هذه الصورة يجب أن تصل الى المواطن بكل مافيها من أبيض وأسود وأضواء وظلال دون تجميل ودون أن نضع لها الأطر التى تخفف منها.

هؤلاء الناس قتلوا رابين لأنه لم يكن عدوانيا بما فيه الكفاية.. وهو الذى اشتهر بتكسير عظام أطفال الحجارة.. وهم أنفسهم الذين قتلوا المصلين الركع السجود فى الحرم الإبراهيمى.. وساعدتهم الحكومة فى إقامة ضريح ومزار للقاتل الجبان باروخ جولد شتين.

إننا نواجه روحا عدوانية يشجعها ويساندها جبروت أمريكى وتأييد أوروبى وعالم يتفرج فى سلبية عجيبة.

ولاتوجد مبررات لأى تخاذل.. فالمواجهة قادمة.. وعلينا أن

نبنى سياساتنا واقتصادنا وتحالفاتنا وعلاقاتنا وارتباطاتنا على أسوأ تلك الاحتمالات.

وعلينا أن نستعد.. ولانضع كل احتياطياتنا فى سلة التنمية.. فغارات ليلة واحدة يمكن أن تعود بتلك التنمية مائة سنة الى الوراء.. وعليها خسائر بمئات المليارات..

علينا أن نخصص جانبا من دخلنا للدفاع

والله موجود وقادر وسوف ينصرنا.. ولكن علينا أولا أن ننصره وننصر أنفسنا..

والله يعلمنا فى آياته أنه يؤيد رجاله المختارين بالأسباب وينصرهم بالأسباب .. ويقول عن ذى القرنين.. ﴿ إنَّا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا فأتبع سببا ﴾

( ٨٤ ـ الكهف )

وقد جاءه التمكين بإيتاء الأسباب ولم يأته «بكن فيكون» والله قادر على ذلك.. وقادر على النصر بالأسباب وبدونها.. ولكن الله يعلمنا ويلفت نظرنا إلى أهمية تحصيل الأسباب.

والغرب سبقنا بالتفوق علينا فى تحصيل الأسباب.. وما الترسانات النووية والميكروبية والكيمائية إلا أسباب مكنه الله فيها فأسرف فى استخدامها وجاوز الحد وبلغ غاية الفجور والاستخفاف.. والله يمد لهؤلاء الناس ليزدادوا إثما.. وليحق عليهم القول وليحق عليهم العقاب.

وتلك سنن يعلمها من يقرأ التاريخ.. ومن يقرأ آيات الله فى الأقوام الغابرة ﴿ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم ﴾ .

القرآن يحضنا على السياحة والتجوال ومشاهدة آثار الأمم السابقة.

وهى سياحة غير السياحة الفندقية اللاهية التى نعرفها.. إنها السير والنظر والتأمل واستقراء التاريخ واستحضار العبرة من الأقوام الذين بادوا.. ولماذا بادوا.. وكيف بادوا.

وبين ظهرانينا جبابرة آخرون سوف يلحق بهم نفس المصير وسوف يبيدوا حينما يأتى ميقاتهم وتتراكم مظالمهم وسيغدون آثارا وأطلالا.

فهل يعتبر ظالمو اليوم بما حدث لأشياعهم بالأمس؟!!

لا أظن.. فإن حجاب الغفلة وبهرج الدنيا ينسدل على عقول الجميع والكل يعيش فى غيبوبة الأنا. وصفقة اليوم.. وسهرة هذا المساء.. وكيف أسبق غيرى إلى الغنيمة.. وكيف أزيح الآخر.. وكيف أدوس عليه قبل أن يدوسنى.

ومنجل الموت يحصد الأرواح ولا نلحظ الذين يتساقطون أمامنا فى الطابور. وننسى أن دورنا قادم.

والكل ينسى.. !!

ومشكلة الكل منذ آدم.. أنه ينسى..!!

## أنواع أخرى من الحرب

والكثير من الذين يكتبون عن المواجهة القادمة بيننا وبين اسرائيل يستبعدون أن تلجأ إسرائيل إلى الصدام العسكرى وإلى القتال الجهير ويقولون بأنواع أخرى من الحرب.. مثل حرب التفتيت وإثارة الطوائف بعضها على بعض وحرب الإفساد ونشر الفتن وحرب الاقتصاد والإفقار والتجويع.

والمثل الذى يسوقونه هو ما فعلته المخابرات الأمريكية فى أفغانستان.. شراء الذمم وإثارة القبائل بعضها على بعض وضرب القيادات بعضها ببعض.. وتدمير كابول بأيدى أهلها وتفتيت

الجبهة الواحدة إلى عدة جبهات تقاتل بعضها بعضا وتفنى بعضها بعضا.

ونفس الشيء تكرر فى القوميات الإسلامية التى حاولت الاستقلال بعد انهيار الاتحاد السوفيتى.. اذربيجان.. وطاجيكستان.. وكازاخستان.. وغيرها.

ونفس الشيء حدث فى كشمير وفى نيجيريا وفى السودان.

ونفس الشيء حدث فى الصومال.. ومازالوا يدفعون بالميليشيات المسلحة هناك..

ونفس الشيء حدث فى تفتيت يوغوسلافيا وتقسيمها بين الصرب والكروات والمسلمين.

والمسلسل مستمر..

وما يقولونه يحدث الآن بالفعل من حولنا.. وهى حروب أسوأ من الصدام العسكرى الصريح والقتال المعلن والجهير.. وإسرائيل تباشر هذا اللون من الحروب منذ ولدت ومنذ قامت على أرض فلسطين إلى اليوم.

ولاتنفرد الأيدى الإسرائيلية بتلك العمليات القذرة وإنما تشارك فيها بالمال وبالخبرة وبالسلاح وبالجواسيس.. الحكومة الأمريكية بكل ثقلها.. وانجلترا وبعض دول أوروبا.

والمصالح هى الحافز والدافع لهذه العصابة.

والشرق الأوسط بكنوز الطاقة فيه وخاماته وثرواته وشعوبه المتخلفة هو مطمع الكل وهدف الكل.

ولا أظن أننا اختلفنا كثيرا.. فما يحدث حسب كلامهم هو بالفعل مواجهة وليس سلاما.. بل هو أسوأ أنواع المواجهة.. فهو تفتيت وتخريب وإفقار تحت مظلة اسمها الصداقة.. وهو نوع من الحرب الخبيثة التى لا تسمح لنا بالدفاع ولا تفتح لنا بابا إلى خلاص.

وأصحابنا ولاشك يرسمون لنا صورة أكثر خطورة.

وهى صورة أدعى إلى رفض هذا السلام الكاذب.. والتعامل مع ما يحدث بصيغ أخرى أكثر جدية.

إن الطائرات الإسرائيلية تضرب جزيرة حنيش والقوات الأرترية تحتلها بهدف السلام.. وإسرائيل تضرب الجنوب اللبنانى وبيروت بالصواريخ والقنابل لمدة ستة عشر يوماً بهدف إحلال السلام.. وعلى سوريا أن تعلن رغم هذا العدوان أنها متمسكة بالسلام وأنها تسعى إلى السلام.. وعلى كل العواصم العربية أن تجدد تعهدها بالسلام وتؤكد تمسكها بالسلام.. وينشط وارين كريستوفر فى حركة مكوكية كلما حدث عدوان إسرائيلى ليؤكد دور أمريكا فى حفظ السلام وحرص أمريكا على السلام وليأخذ تعهدات من جميع الأطراف بالاستمرار فى السلام والـ.. PEACE PROCESS.

ورغم أن هذه الصورة الكاريكاتورية لا يصدقها طفل فى روضة أطفال فإن علينا أن نصدقها.. وعلى قياداتنا أن تتصرف على وفاقها.. وأن تستمر فيها.

وعلى هذا الأساس تكون أى رصاصة نطلقها لمقاومة الاحتلال هى عدوان وتهديد بحرب شاملة بينما يكون قتلهم للمئات وتشريدهم للألوف ونسفهم للبيوت وتدميرهم للمدن هو إحلال السلام.. وعلينا أن نجدد العهد والبيعة بهذا السلام الكاريكاتورى كل يوم.. حتى لاتنقطع عنا المعونات ولا تتحول عنا البركات.

وقد جاء الوقت لنتوقف ونعيد حساباتنا.. فرغم كل المخاطر فإن أى معونة لاتساوى أن نبيع مستقبلنا.

ولاشك أن علاج الأمر يحتاج إلى استراتيجية مختلفة غير التى نسير فيها ويسير فيها كل عرب المنطقة.

إن الضامن الوحيد لأمن المنطقة هى أمريكا.. وأمريكا ليست

معنا وإنما هى قلبا وقالبا ومصلحة واستراتيجية مع إسرائيل واسرائيل هى الشرطى الأمين الذى تستعمله أمريكا للحفاظ على مصالحها الحيوية وعلى ربط المنطقة بالمشيئة الأمريكية.

والمواجهة الحقيقية ليست مع إسرائيل بل هى للأسف الشديد مع أمريكا والغرب الذى أجمع أمره على تكسيح الدول الإسلامية والنزول بدرك الدول العربية إلى حضيض المعونات والتسول والحاجة المستمرة.. وما إسرائيل إلا مخلب وقفاز وأداة لتحقيق هذا الهدف.

والحل أن تتحرك أوروبا من موقف التبعية المطلقة لأمريكا فى سياسة الشرق الأوسط إلى موقف أكثر عدالة.. وأن تتحرك الصين بثقلها من موقف الصمت والحياد نحو ما يجرى إلى موقف أكثر تعاطفا.. وأن يصبح للدول العربية والإسلامية تكتل وموقف من عملية تهميشها وإذابتها وإفنائها.. وأن تتحول مصر إلى قوة اقتصادية مستغنية عن المعونات وقادرة على المناورة.. وأن يحدث فى الظروف الخارجية ما يساعد على هذا كله..

وعجلة التاريخ دوارة.. وليس فى طبع الزمان أن تدوم القوة لأحد والمهم أن تكون لنا أعين مفتوحة ونعرف متى نتحرك وكيف نتحرك والله موجود وهو لم يكن أبدا مع الظالمين إلا بقدر فتنتهم وامتحانهم وما لانملكه اليوم سوف نملكه غدا.

والصبر مطلوب

والإيمان قبل الصبر

وعلى كل مواطن أن يبدأ بسياسة نفسه إلى الأفضل قبل أن يتوقع أن يتحول كل شيء إلى الأفضل.

هذا هو اجتهادنا للخروج من الأزمة ولكن إرادة الله تتعالى على هذا كله وهو ليس فى حاجة إلى ظروف لأنه هو الذى يصنعها وحينما يريد فعناصر الكون كله مجندة لمشيئته.. ونسأل الله العون.

# الــريــاء العظيم

الغـرب صاحب التـاريخ الـدامى فى استعمار القـارة الافريقيـة والقارة الآسيـوية والقارة الأمـريكية.. وصـاحب السجل الأسود فى الحروب والمذابح والمجـازر ( إبادة ثـلاثـة ملايين هنـدى أحمر فى أمريكا وخطف ١٥ مليون أفريقى وترحيلهم عبر البحر للعمل كعبيد فى الحقـول والمصـانع ) وقـام القــراصنـة البريطـانيـون وجيش الاستعمار البريطــانى بخطف مثل هــذا العـدد للبيع فى أســواق النخـاسة وللعمل فى مـزارع اللـوردات فى بريطـانيـا العظمى التى لاتغيب عنها الشمس.

وفى الهند وفيتنام وكمبـوديا كان لفرنسـا وانجلترا سجل دموى آخر.

وفى الصـين كـانت هنـاك حـــرب الأفيـون التى أعلنتهـا انجلترا لتحطيم المقاومة الصينية بنشر المخدرات بين الشعب الصينى.

مسلسل إجرامى طويل حكاه لنا التاريخ.

واليـوم نفس الأيـدى الملـوثـة رأينـاهـا تـؤازر الصرب بـالمال والسلاح والتـأييد السياســى فى حرب البوسنـة التى أبادت مـائتى ألف مسلم وشردت ثلاثـة ملايين لاجىء.. والمقابر الجماعيـة باقية لتشهد على ماجرى.

وهذا هو الغرب صاحب حقوق الإنسان وصـاحب عصر النهضة وصـاحب عصر التنويـر.. يطالعنـا فى هـذه الأيام بأخبـار طريفـة ومواقف عجيبة.. تثير الابتسام.

إصــدار حكم بغرامـة مـائة ألف مـارك على مواطن لأنـه رفس كلبا.. ياســلام.. وطائرة أمريكية تقطع رحلتها وتعـود إلى نيويورك لأن هناك قطـة منسية فى قاعات شحن البضــائع تعانى من البرد.. ياعينى على العواطف الرقيقة!!

وحملة شـديدة على استعمال حشرات حيـة وفئران وسحـالى فى تجارب علميـة باعتبـارها قسـوة ووحشيـة لاتليق.. ياحبـة قلبى.. فعلا كلام ما يصحش..

وفى نفس الـوقت وفى نفـس اللحظـة تضرب إسرائيل بقنـابل الطائرات الـلاجئين الهاربين فى قانـا الذين يحتمـون فى مخيم الأمم المتحـدة ويقف العالم كلـه معها.. ويتكلم جـون ميجور وكلنتـون وكول ليبرروا لإسرائيل ما فعلت..

ونحن وحـوش لأننـا نأكل لحوم الأضـاحى فى العيـد ونـذبح الدجـاج والأرانب هكذا تقول الـرقيقة.. بريجيت بـاردو.. وجماعات حقوق الحيوان.

يا أللہ.. ياله.. من رياء عظيم.

٤

# لقد جاوز الظالمون المدى

مضى ياسر عرفات الى أبعد مدى فى إرضاء أمريكا وإسرائيل باتهامه إيران فى بيان صريح بأنها هى التى أصدرت الأمر بتنفيذ العمليات الانتحارية الأخيرة.. وهو كلام يثير أكثر من سؤال.. فإيران لا تملك إصدار ا لأمر بالانتحار الى أربعة من الشباب الفلسطينى فيمضى الأربعة إلى قتل أنفسهم هكذا فى بساطة بمجرد الأمر الإيرانى كما لو كانت الهوية الفلسطينية قد فقدت وأصبحت لا وجود لها.. كما أن عرفات لايملك دليلا على تلك المزاعم بعد أن أصبح الأربعة فى رحاب الله وقد تمزقوا إلى شظايا..

والواضح أنها رغبة أمريكية يرددها عرفات.. فقد أصبحت السياسة الأمريكية الآن هى حصار إيران وليبيا وسوريا والعراق بالاتهامات ودمغ كل الجماعات الإسلامية بالإرهاب وتعليق تهمة الإرهاب فى رقبة كل ما هو إسلامى.. وعناوين الصحف الأمريكية

ومانشتات افتتاحياتها تشهد بذلك.. وتصريحات رجال الكونجرس ترددها.

وهى خدمة تقدمها أمريكا لإسرائيل إضافة الى أكداس الأسلحة ومليارات الدولارات والتأييد المعنوى الجهير بالحق وبالباطل والفيتو السريع المبادر لإجهاض أى اعتراض.

ولا غرابة فى أن تدافع أمريكا عن إسرائيل فإسرائيل ولاية أمريكية تعمل للمصالح الأمريكية فى المنطقة ولكن أن يسبح عرفات فى هذه المياه الإسرائيلية ويتطوع باتهام دولة إسلامية لصالح الطرف الإسرائيلى الأمريكى.. هى مبالغة.. لن يكسب بها ود اليهود ولا تصفيق العرب.. وانما سوف يخسر نفسه.

والسياسة الصهيونية سياسة بالغة الدهاء وهى تتقن فن مسخ البطولات ومحو تاريخ الرجال.

وسوف يوافقنى عرفات على أن هناك كلاماً كثيرا عن السلام وطبول تدق بالسلام ورايات ترفع للسلام ولكن لايوجد سلام.. وانما قنابل تنزل على الجنوب اللبنانى واستيلاء على الأرض وبناء للمستوطنات واغتصاب للقدس ونسف للبيوت وشن للغارات على الجيران وحرث للأرض الفلسطينية وتمهيدها لمواجهة غير متكافئة مع أسلحة إسرائيلية ساحقة ماحقة فى مواجهة فلسطينية مفككة تضرب بعضها بعضا..

ورغم كل الكلام الناعم والوعود الصابونية الملمس فالمستقبل دموى كما كان الماضى دمويا..

ولا يقول بغير ذلك إلا رجل ساذج اختار أن يطمئن نفسه.

والحقيقة التى لاشك فيها ان الاسلام نفسه هو العقبة الحقيقية أمام الهيمنة الاسرائيلية فى المنطقة.. واسرائيل تحاول أن تلتف حول القضية.. فتحاول أن تصبغ المنطقة بالصبغة العلمانية

الانحلالية وتحاول أن تلتف على الاسلام بتفكيك المسلمين أنفسهم.. تفكيك وحدتهم وانتزاع جذورهم واتهام تراثهم ومغالبة ثقافتهم بثقافات أخرى منافسة.. وكل هذا يحدث الآن تحت مسميات بريئة.. مثل ثقافة السلام وفنون السلام واقتصاد السلام وحوار السلام.

والتطبيع هو أداتها الوحيدة ووسيلتها.

وفى سوريا ومصر والمملكة العربية السعودية لا أحد يريد تطبيعا مع إسرائيل ولبنان بعد ست عشرة سنة من الحرب الأهلية (التى أدرك اللبنانيون أن اسرائيل كانت وراءها) لا أحد فى لبنان يريد تطبيعا مع اسرائيل.. ولا أحد يطمئن الى اسرائيل.

والكنيسة المصرية ضد ما تصنعه اسرائيل فى القدس..

والشعوب فى واد.. والحكومات فى واد.. وأكثر مانشتات الصحف مجرد مهدئات.

والسلام الذى يتكلم عنه الساسة هو مجرد قشرة تخفى تحتها رفضا حقيقيا للتغلغل الاسرائيلى فى المنطقة..

والمشكلة أن القهر وحده لن يستطيع أن يغير قلوب الناس.. واسرائيل لن تستطيع الدخول الى قلوب الناس بقرار وزارى من أصدقائها.. والحرب حتى الحرب المنتصرة لن تستطيع أن تبدل الكراهية حبا ولا الرفض قبولا.. ولا توجد حلول سحرية فى الأفق.

ورغم الترسانة الذرية والتسليح الأمريكى والمليارات التى تتدفق من المراكز الصهيونية فاسرائيل تحلم بالمستحيل.. وإذا هيمنت على الأرض لن تستطيع الهيمنة على الناس وإذا قتلت رجلا سوف يولد عشرة يحملون ثأره.

واسرائيل سوف تخسر معركتها مع الزمن..

ولقد قال القرآن وقالت التوراة وقالت الأناجيل.. إن العلو الاسرائيلى سوف ينتهى الى دمار.. وهو سطر واحد.. ولكن فيه اختصار للتاريخ القادم كله.

وليس كلام الله ككلام الصحف.. فلا تبديل لكلمات الله.. وهناك ألف مليون يؤمنون بتلك الكلمات.. وعلى اسرائيل أن تقتلع إيمانهم قبل أن يهدأ لها بال.

وأعتقد أنها مهمة صعبة.

ولو قدر لها أن تقتلع ايمان الكل وبقى واحد.. فسوف يقيم الله الناموس على يديه.. فاسرائيل قامت لتزول.. وهذا قدرها..

وكل ما عدا ذلك حراثة فى بحر.

## ضيافة

طلعت الشمس وتبسم النوار وتفتحت البراعم وسالت حمرة الورد على خدود البستان وزقزقت العصافير ورقصت النسائم الحريرية مع أعواد الأغصان وجاء صباح جديد وليد.. ورغم هذه الاحتفالية الجميلة المبهجة فالأرض تسيل دما.

لماذا يعتدى الواحد منا على أرض الآخر.. لماذا يغتصب ما فى يده.. لماذا يقتل الناس بعضهم بعضا..

إن الأرض أرض الله والخيرات خيراته.. والخلق كلهم فى ضيافة الكريم الذى خلقهم لا يملك أحد منهم شيئا ولا يستطيع أحد أن يدعى أنه مالك لأى شىء.

والذين وضعوا أيديهم على قيراط أرض سوف يتخلون عنه ويرحلون رغم أنوفهم.. فلامالك هنا سوى الله.. وكل الخلق ضيوف الرحمن لبرهة تطول أو تقصر.. أتى بهم خالقهم عرايا

ويعـودون إليـه عـرايا لا يملـكون شـيئا إلا عملهم.

إنها ضيافة وليست إقامة.. ودار عبور وليست دار خلود.

مجرد كوبـرى والكل مسافـر مرتحل فى حـالة مـرور وعبور.. مجرد عبور.

والمسافر لايحتاج الا متاعا قليلا بسيطا هو متاع المسافر.. وهو يزرع خيمـة أو يبنى كوخـا مؤقتـا ويستعمل كراسى ومـوائد من القش.

ولكن الكل الآن يبنى عمارات وأبـراجا ونـاطحات سحـاب ويمد فى الأرض جـذور الخرسـانـة والحديد ويلطخ الحدائق بـالأسمنت.. ويسكن فيها تياها فرحا بوهم البقاء الأزلى والخلود فى الأرض.

وهـو ينفق الملايين على الـزخرفـة والتـوشية بـالـذهب ويصنع معـارج الرخـام ويرفع أعمـدة المرمـر ثم يقتل جاره ليستـولى على أرضـه وأملاكـه ليتـوسع ويسرق كل مـا تمتد اليـه يـده ويختلس ويبتز ويـزور ويزيف ليضـاعف أمـلاكه.. وينسى أنها ضيـافة.. وليست إقامة.. وأنـه مسافر ومرتحل.. وينسى أنـه حمل جثة أبيه وجده إلى القبر من قبل وأنه لاحق بهما لامحالة.. وأنه لايوجد بشر واحد خلد فى الأرض.

إنها حالة من السفاهة العامة والغفلة العامة.

وصدق الله العظيم إذ يقول:

**«ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما»**

النسيـان والغفلـة وضعف العزم هـى الصفات العـامـة فى كل البشر وبنـو اسرائيل أكثـر السـلالات البشريـة غفلـة ونسيـانـا وجحـودا وتكبرا وحقـدا وعنـادا.. وحينما أسكنهم الله فى أرض الميعاد ظنـوا أنها لهم حقا أبـديا وملكيـة أزلية.. فعصـوا وأفسدوا

وطغـــوا فأخـــرجهـم الله من جنتهم ولعنهم وشتتهـم وقطعهم فى الأرض أمما. وضرب عليهم الذلـة والمسكنة «الا بحبل من الله وحبل من الناس».

وبهذا الحبل من الله ومن النـاس (أمـريكا وحلفـائهـا) تطاولـوا وطغوا وتكبروا وعادوا الى إفسـادهم وسيعاود الله تأديبهم وطردهم تـذكيرا لهم ولغيرهم.. بأن الحيـاة فى الأرض أرادهـا الله ضيـافـة وعبورا وسفرا وترحالا وليس بقاء وتملكا وتحكما فى رقاب العباد.

إنها ضيافة وحسب..

ونحن جميعـا فى قطار سياحـى ونزهة حظنـا الوحيـد هى تلك النظرة والفـرجة من نوافذ عيـوننا ومن عربات القطـار المسرع بنا إلى الموت.. نتفرج على الدنيـا ونعتبر ونُمتحن ونُبتلى الى يوم حساب لامفر منه.

والـذين غـرهـم من بنى اسرائيل وضع اليـد على أمـلاك الغير والعزة بـالتأييـد الأمريكى الـذى فازوا به بـالتحايـل على الناخبين والتسلل الى مقاعد صنع القرار فى الحكـومات المتوالية.. لن تنفعهم تلك العـزة ولا ذلك التأييـد فلـن يـدوم لهم شىء فى تلك العجلـة الـدوارة التى اسمهـا الـدنيـا.. التى يـداولها الله بين النـاس والتى لايدوم فيها العز لأحد.

والله يخفى ليهـود اليوم نهايـة لن تقل رعبـا عن يهود الأمس.. ويقول لهم

**«وإن عـــدتم عـدنـــا وجعلنـــا جهنم للكـافــرين حصيرا»** (٨ ـ الإسراء).

إن عـدتم إلى الله والى الملـة الحسنى عـدنـــا عن تعذيبكم وعن تشريدكم.. وإن عـدتم إلى العدوان عدنـا بكم إلى التشريد والهوان.. والرد تسـارع به الطائرات الاسرائيلية والمدفعيـة الثقيلة التى تلقى

بالمئات من قذائفها على الجنوب اللبنـانى.. كعربون تجدد به عهود السلام والوئام.

وهكذا كانت دائما عهودهم ومواثيقهم.

## العمـــاليق

نحن الآن فى عصر العملقة والعماليق.

العملقـة فى العلم التى أدت إلى ظهور دول تملك القنـابل الذريـة والهيدروجينية التى تستطيع أن تمحـو بها الحياة وتفنى الشعوب وتدمر البيئة.. وفى الجانب الآخر دول لا تملك القوت ولا تجد المياه النظيفـة.. وفى تلك العملقـة الغـاشمـة لـون من الإرهـاب الـدولى يتضاءل أمامه أى إرهاب من أى تنظيمات أو أفراد أو جماعات.

وهؤلاء الذيـن امتلكوا تلك الوسائل لا يعلمـون ان الله هو الذى ملكهم.. وانه هو الذى آتـاهم العلم.. وهم مثل قارون الذى قال عن ثـرائه.. انما أوتيتـه على علم عنـدى .. فخسف الله بـه وبخـزائنـه الأرض.

وكان هـذا شـأن الله أيضـا فى تعـامله مع عماليق الماضــى.. قوم ثمود الـذين كانوا ينحتـون من الجبال بيـوتا فارهين.. وقـوم عاد الذين قال لهم ربهم.

**«وتتخـذون مصانع لعلكم تخلـدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين»** (١٢٩ ـ ١٣٠ ـ الشعراء ) .

وقال لهم محذرا:

**«واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون»** ( ١٣٢ ـ الشعراء) .

فما وسائل القـوة وما العلم الـذى حصلوه إلا بمدد منـه وحده سبحانه الذى علم الإنسـان ما لم يعلم.

وقال فى سورة الزخرف:

**«فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين»**

( ٨ ـ الزخرف) .

**« وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا»**

(٣٦ ـ ق ) .

إن الإهلاك والاستئصال هو سنة الله فى مثل هؤلاء.. الذين مضوا والذين غبروا.. والذين يتألهون بقوتهم مثل الدول التى بين ظهرانينا.. (وروسيا وما جرى عليها مثال قريب).

وما كلام الله إلا لعموم التذكرة فهو الذى يعطى وهو الذى يسلب لإعادة التوازن إذا اختلت المعايير وتجبر الأقوياء على الضعفاء وتألهوا على الناس بوسائلهم.

ونسمع الآن أن اسرائيل تقوم بتمشيط القرى الفلسطينية وكأنما ترى بعض ساكنيها كصنوف من الحشرات وصنوف من القمل يلزم فرزها من حين لآخر.. ثم نراها تزرع فى حدودنا ترسانتها النووية.. وتبادر بتدمير أى محاولة لبحوث نووية حولها.. وتستخدم الآلة الأمريكية السياسية فى تهديد الصين وكوريا والعراق وليبيا.. وأى مكان فيه مظنة نشأة قوة نووية.. ليكون لها وحدها العزة والجبروت.. ولتكون الديناصور الوحيد فى المنطقة.

ومن قبل ذلك أهلك الله الديناصورات جميعها ومحاها من الأرض فى ضربة واحدة ليقول بذلك أنه لا استثناءات فى السنن الكونية وأن ما يجرى فى عالم الإنسان يجرى أيضا فى عالم الحيوان وفى سائر الخلائق.

وفى الأماكن الاستوائية التى يتكاثر فيها البعوض بشكل وبائى

يسلط عليها ربنـا أنواعـا من الحشرات المضيئة تجتـذبها وتأكلها.. ونـرى أمثال ذلك فى كل بيئـة طبيعيـة حتى فى المزارع الميكروبيـة والبكتيرية وفى عـالم الدقائق الميكـروسكوبيـة.. فقد خلق الله الكل ليعيش الكل وليس لينفرد جنس بالحياة دون الآخرين.

فهو الخالق الحافظ المدافع عن كل مخلوقاته.

وإن ربك لبالمرصاد.

وانتظروا.. إنى معكم رقيب.

٥

# لا لهذا السلام

بعد العدوان الإسرائيلى الفاجر على شعب لبنان لن تستطيع حكومة أن تقنع شعبها بهذا السلام الإسرائيلى.. ولن تستعمل سلطاتها لفرض مثل هذا السلام على شعبها حرصا على مصداقيتها.

إن قنابل إسرائيل التى دمرت البنية الأساسية وقتلت الأطفال والنساء والشيوخ فى بيروت كانت نقطة الفراق النهائى ونقطة اللاعودة.

لا عودة إلى الاتفاقات الهلامية والكلمات الملتوية المطاطة.

إن التوقيع على أى اتفاق اسرائيلى هو توقيع على فقدان الأمن وفقدان الأرض وفقدان الحياة.

وما تريده الشعوب الآن هو الحماية من غدر إسرائيل وليس الاتفاق معها.

ما تطلبه الشعوب من حكوماتها الآن هو أن تحميها بالسلاح

الكافى والنظـام الدفـاعى الكافى والإعـداد العسكرى الكـافى والقوة السياسيـة الكافيـة.. وأهون عليهـا أن تعطى من لقمتهـا لجيشها ودفاعها من أن تعطى رقبتها لأعدائها.

إن خضوع مـائة مليون لخمسة ملايين إسرائيلى مـذلة لا مبرر لها.

والاستمـرار فى هـذا السـلام الكاذب هـو خـداع للنفس وخـداع للشعوب وتنازل عن الكرامة بلا جدوى وبلا عائد وبلا ضرورة.

وليس فى كـلامنـا إعـلان للحـرب على أحـد وانما مجرد وقفـة مخلصة مع النفس وإعـادة للحسابات ونظرة محايـدة للاحتمالات والإمكانات وإلى السـالب والموجب فى مواقفنا وإلى التكييف الأدق لما يواجهنا.

نحن نريد أمنا ولا نريد عدوانا.

نريد أمنا يعتمد على قوانا الذاتية وليس على وعود إسرائيلية.

إن لبنان حينما اعتدى عليها لم يتحـرك العالم الا بعد أن أفرغت إسرائيل تـرسانـاتها من المتفجـرات على مـرافقها وبعـد أن نسفت القنابل بنيتهـا الأسـاسية ودمـرت محطات النور والميـاه والمجارى وأحالت مدنها الى ظلام..

وحينما جاء القـرار بوقف إطلاق النـار جاء بعد أوانـه وبفارق مليارات من الليرات من الخسـائر ومئـات من القتلى.. وخراب ودمار ودماء..

وهيهات لـدماء سفكت أن تعود إلى عـروق أصحابها من جـديد بقرار من الأمم المتحدة.

حتى إسعاف الأمم المتحدة جاء فى الـوقت الذى أرادته اسرائيل.. وليس فى الـوقت الـذى يتطلبـه الموقف.. حتى الاسعـاف كـان أكذوبة.. وكان إغلاقا للجرح على صديد.

نحن نعيش فى عـالم متـآمـر.. وليس أمامنـا الا أن نعتمـد على أنفسنا فى حماية أنفسنا.

وصدق الله العظيم.. « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**»

أعدوا واستعدوا وتأهبوا وانشطوا واحتشدوا ورابطوا وصابروا واحتسبوا.

والله لن يخذلكم أبدا..

ووعد الله ليس كوعود الكونجرس فالله هو الوحيد القادر على إنفاذ مايقول.. لأنه وحده الذى يملك الزمان والمكان ورقاب الكل مؤمنين وكفرة. وباسمه سبحانه يدور الفلك.. وبمدد الرحمة من أنفاسه نلتقط أنفاسنا وتستمر حياتنا إذا شاء وتتوقف إذا شاء.

والعلمانيون يبتسمون حينما نتكلم بهذه اللغة الواثقة فى غيبيات ويسخرون من معلومات قديمة أسطورية لم تعد تجدى مع المدفع والذرة وقد نسوا أن الذرة هى الأخرى من صنعه وأن الكتروناتها الطوافة حول كعبة النواة تدور هى الأخرى فى نفس الاتجاه الذى نطوف به حول كعبة ابراهيم (عكس عقارب الساعة) وفى نفس الاتجاه تدور الكواكب والأقمار حول شموسها فى الكون الكبير الا ماتصادم منها وخرج عن مداره. وأن كل ما فى الكون يشهد بالوحدانية فى القوانين والنسق والنظام لأنها جميعا خرجت من واحد أحد خلقها جميعا.

ولا نجادل. فسوف يجيب عنا التاريخ وتتكلم الأحداث.

ارفضوا الذل والتبعية يا إخوة.. ولا تخافوا.. فإنهم لايملكون الا أسلحة تقتل.. والموت قادم بهم وبدونهم ولن يموت أحد قبل أجله.. ولايملك أعداؤنا أن يستقدموا الا ما قدم الله ولا أن يستأخروا إلا ماأخر.. وهم جنود غضبه وسخطه دون أن يعلموا.. وهم لايملكون أن يغيروا من كتابه شيئا.. وهم الأخسرون مهما فعلوا.

ولن يضيع الله عبدا آمن به أبدا.

# قاموس جديد للألفاظ

والسياسة الجديدة لإسرائيل هى اللعب بالألفاظ وقلب معانيها.. نوع من الدعارة بالكلمات والزنا بالألفاظ.. فهى تقول انها تسعى إلى السلام ولكن ما تفعله فى لبنان هو الحرب.. والحرب النظامية.. ضرب العاصمة بيروت بالطائرات وتدمير البنية الأساسية وتفجير محطات النور والماء والمجارى.. وهى تسمى هذا الذى تفعله تعزيزا للسلام وضربا للارهاب الذى يمارسه رجال حزب الله.. ولكن ما يحدث فى الجنوب اللبنانى ليس إرهابا بل مقاومة للاحتلال الاسرائيلى وهو أمر مشروع.. ثم انها لا تضرب حزب الله بل تعلن الحرب على لبنان نفسها.. وهذا أشبه بأن تعلن الحرب على مصر لأن هناك تفجيرا فى فندق الملك داود فى إسرائيل قامت به جماعة الجهاد الاسلامية.. وهذه الجماعة مقرها مصر مثلا.. فلتعزز السلام إذن.. تضرب القاهرة بالقنابل وتنسف السد العالى وتدمر محطات القوى والماء والمجارى والأنفاق ومصانع الحديد والصلب.. الخ.. نوع جديد من السلام اسمه السلام الاسرائيلى.. لقد قلبوا تماما معنى الكلمة الى ضدها.

والحل الوحيد للأمن الاسرائيلى.. أن تكون كل الزعامات فى المنطقة زعامات مستأنسة مثل قابوس.. تهلل.. وتوقع.. وتتبادل الهدايا والقبلات مع العزيزة إسرائيل.. ولا تحاول أن تفكر فى معانى الكلمات ولا فيما وراء الاتفاقات.

ولأننا لم نبلغ بعد هذا القدر من الاستئناس.. ولأننا فهمنا «الأجرومية» الجديدة التى تتكلم بها اسرائيل وعرفنا قاموسها.. فإننا نقول بملء الفم.. لا. وألف لا.. لهذا السلام.. ولايعنى هذا أننا قد اخترنا الحرب أو أننا رفضنا السلام.. فالسلام مازال هو الحل الحقيقى والوحيد لمشاكل المنطقة.. والسلام هو الأمل ولكن ليس السلام «المقلوب» الذى يدعو إليه بيريز.

# رمـوز المقـاومة

رأيت ياسر عرفـات يتبادل الابتسامات مع بيريـز ويشكر هذا وذاك على مليارات الـدولارات القادمة فى الطـريق لإنعاش الـدولة الفلسطينية ورأيته فى التليفزيـونات الأوروبية مع بيوت المال ومع الوسطـاء يشكو من أن المليـارات التى وعد بها لم يحصـل منها الا على خمسة وعشريـن مليون دولار ذهبت أجـورا لرجـال الشرطة.. وأشفقت على الرجل.. ذلك البطل القديم الذى كان يحمل المدفع وقد انتهى بـه الحال إلى ذلك الـرجل الـوديع المسالم الـذى يحبـو على الشوك من أجل بضعة دولارات يلتقطها مـن أعدائه الصهاينة ومن أجل دولة على الورق نصفها فى السجون والنصف الآخر يعيش فى جيوب محاصرة بالمستـوطنات ويعانى المهانـة والتجويع من هؤلاء الأعـداء الذين يـدعون أنهم أصـدقاء.. وأيقنت أن رمـوز المقاومـة الفلسـطينية لم يبق منـها إلا رايـة حمـاس المرفـوعـة فى وجـه الظلم.. وأن حماس هى الـوجـه الآخـر الضرورى لحيـاة المنظمـة ولبقائها.

لماذا يدفعـوننا دفعا إلى معـاداة ايران واتهامهـا وإعلان الحرب عليها.

ولماذا يريـدون ألا يكون للإسلام صـوت ولا إرادة ولا قوة على دفع العدوان.. وإذا انطلقت رصـاصة فى أرض محتلة من أيد تـريد أن تسترد أرضهـا وحريتهـا. قـالوا هـو إرهـاب وحـرضوا العـالم ومـلأوا الدنيـا بانصراخ.. وإذا نسفـوا هم البيوت وقتلـوا الأبريـاء بـدون جـريـرة وإنتزعـوا اللقمـة من فم الأطفـال.. مـاذا يسمـون فعلهم.. هل تعـرفون فى القـاموس كلمـة تعبر عن هذا الـذى تفعله اسرائيل؟!! أنـا لا أجد كلمـة لهذا الفحش.. وأسوأ منـه.. أن نسكت عليه.. وأن يسكت العالم فلا يرتفع فيـه صوت ينادى بالعدل.. وأن

تموت المقاومة وتتحول إلى مساومة وتسول للقروض والمعونات اسمه الـ Peace Process .

وحينما تصبح الكرامة قابلة للبيع والأرض قابلة للبيع والأوطان قابلة للبيع فماذا يبقى للمواطن.

وما يبكى وما يضحك أن الثمن المعروض لكل هذا الهوان مسروق أصلا من لقمتنا وبترولنا. ومعظم بترول العرب المخزون الآن فى الأرض أصبح مرتهنا بفوائد لقروض قديمة تضاعفت مع الوقت سنة بعد سنة حتى أصبح البعض منا لا يملك شيئا.

لقد كانت للعبيد فى الماضى ثورة أيام سبارتاكوس.

واليوم هم جاءوا بإسرائيل الى المنطقة كى لا يخرج منها صوت احتجاج الى آخر الدهر.. وقد زودوها بترسانة ذرية لتهدد من يخطر له أن يعصى أو يفتح فمه .

هذا تصريفهم الذكى جدا.

ولكن لله تصريف آخر.

والله من ورائهم محيط.

## الوحدة العربية المستعصية

إذا كان جمع كل العرب أمرا مستحيلا.. وإذا كان هناك قطاع عربى قد اختار الارتباط باسرائيل مثل الأردن وقطر وعمان وتونس والمغرب.. فإن هذا لايعنى أن ننفض أيدينا من الوحدة.. فهناك دول المواجهة وهى المجموعة الأهم.. هناك سوريا ولبنان ومصر والسعودية.. وهى الدول الأعلى صوتا والأقوى فعالية وهى يمكنها أن تمثل جبهة الصمود الفاعلة وهناك ليبيا بموقفها المبدئى الصلب ضد أمريكا واسرائيل.. وهذه الوحدة المصغرة أنفع بكثير من وحدة كبرى مترهلة تضرب بعضها بعضا.

إن دولة الأردن التى اختارت الأمان الاسرائيلى وقطر ومسقط

اللتين انكفأتـا على وجهيهما من كثرة الهرولـة لن تضيفا شيئـا الى الحضور العـربى لأنه لا يوجد لهما حضـور عربى يذكـر.. وغياب صدام أفضل من حضوره.. وما لا يتيسر كله لا يترك كله.. ويجب أن نفكـر بمرونـة وينظـرة واقعية الى هـذه الخريطـة التى تمزقت لنفعل الممكن والعـاجل لجمـع شملهـا ولا ننتظـر المستحيل.. فإن الأحـداث التى تتداعى بسرعـة والأخطـار التى تتلاحق تتطلب منـا موقفا فاعلا وتتطلب جبهة متحدة تتكلم بصوت واحد..

ووجـــود بعض الخلافـــات لا يمنـــع من وجـــود رأى متحـــد فالخلافـات تذوب دائما أمام الخطر المشترك.. والخطـر ليس خطرا اسرائيليـا فقط بل أصبح الآن خطـــرا أمـريكيـا بنفس الـدرجـة.. فأمـــريكـا تـــدفع وتشـجع وتسلح وتحمى هـــذا الظلم الاسرائيلى الوحشى.

والخلافـات فى الـرأى بين الاخـــوة لا تصنـع التمـزق الا عنـد المتخلفين الذين لا يـدركون لغـة المصالح المشتركـة.. ولقد اختلف الروس البلاشفة مع الأمريكـان خلاف حياة وموت ولكنهم اتحدوا أمام الخطر النازى فى الحرب العالمية الثانية وحاربوا هتلر جنبا الى جنب وانتصروا عليه.. والنازية الاسرائيلية اليوم فى حاجة الى نفس الوقفـة والظلم الأمريكى فى حاجـة الى نفس التكتل ونفس الردع.. والخطر على الحضـارة يأتى من جانـب الصهيونية وليس من جانب الإسلام.

ويجب أن يكـون مفهومـا أن أهازيج السـلام وأغانى السـلام التى أرادوا تخديـرنا بها لم تعـد تنفع وأننا صحـونا مفـزعين على القنابـل التى تلقيها الطـائرات الاسرائيلية على بيروت بحجـة إبادة حزب الله.. فلـم نر القنابـل تقتل الا اللبنانيين ولم نـرها تـدمر إلا البنية الأساسية اللبنانية ولم نـرها تحرق سوى الأرض اللبنانية..

وهم كذابـون فجرة يعلمون مـاذا ستفعل قنابلهم.. وتـدمير لبنان كان هدفهم.. ومـاكان حزب الله إلا ذريعة.. وإذا كـانت الانتخابات الاسرائيليـة هى الهدف كما يقـول البعض.. فهى عـذر أقبح من الـذنب.. ومعنـاها أن النـاخب الاسرائيلى يـريـد قتلة وسفـاحين فى كـراسى الحكم.. والمعنى البـاطن فى هـذا الاختيـار أنهم يجهـزون لحرب ويتأهبون لمجـزرة.. فكيف نرى كل هـذا ولا نستعد.. وكيف نشـهد كل هذا الاستفزاز ولا نتحـرك.. إنها جميعها نذر ومحاذير ودواه سوف تـوحدنـا جميعا رغم أنوفنـا.. ربما لن تكون الـوحدة شاملة.. ولكنها سوف تجمع دول المواجهة وهذا يكفينا.

إن الصدور التى توجه اليها السهـام ستكون أكثر الكل حماسا وأكثـر الكل فـداء وإخـلاصـا وهـى الصفـات المطلـوبـة لجبهـة المواجهة.. ولا تهمنا سلبية الذين يتخلفون.

لقد كسرت مصر وسـوريا الهجمـة الصليبية كما ردتـا التتار بدون جامعة عربية وبدون توحد عربى شامل..

والله يفعل ما يشـاء حينما يشـاء بما يشـاء.

أقول هذا لليائسـين والقانطين والمتشـائمين.

وللذين يخافون بـأس أمريكا وبأس القنابل الـذرية.. أقول لهم أين ذهب بأس روسيا وكانت تحمل على ظهـرها أضعاف ما تحمل إسرائيل من قنـابل ذريـة وأضعـاف ما تحمل من رؤوس نـوويـة وصواريخ مـوجهة.. إنها الآن فى الحضيض وهـى تتسول المعـونات وتـرسانـاتها النـووية لعنـة عليهـا لا تعرف كيف تتخلص منهـا ومفاعلاتها القديمة عبء مالى رهيب يحتاج إلى مليارات لإصـلاحها لا تعرف من أين تـأتى بها.

إنـها لم تحصد نصرا.. بل حصدت فقرا وهـزيمة.. بينما خرجت

من حضيض الفقـر دول صغيرة إسـلامية مثـل ماليـزيـا. وبلغت ذروة التكنولوجيا.. بالجهد والاجتهاد.

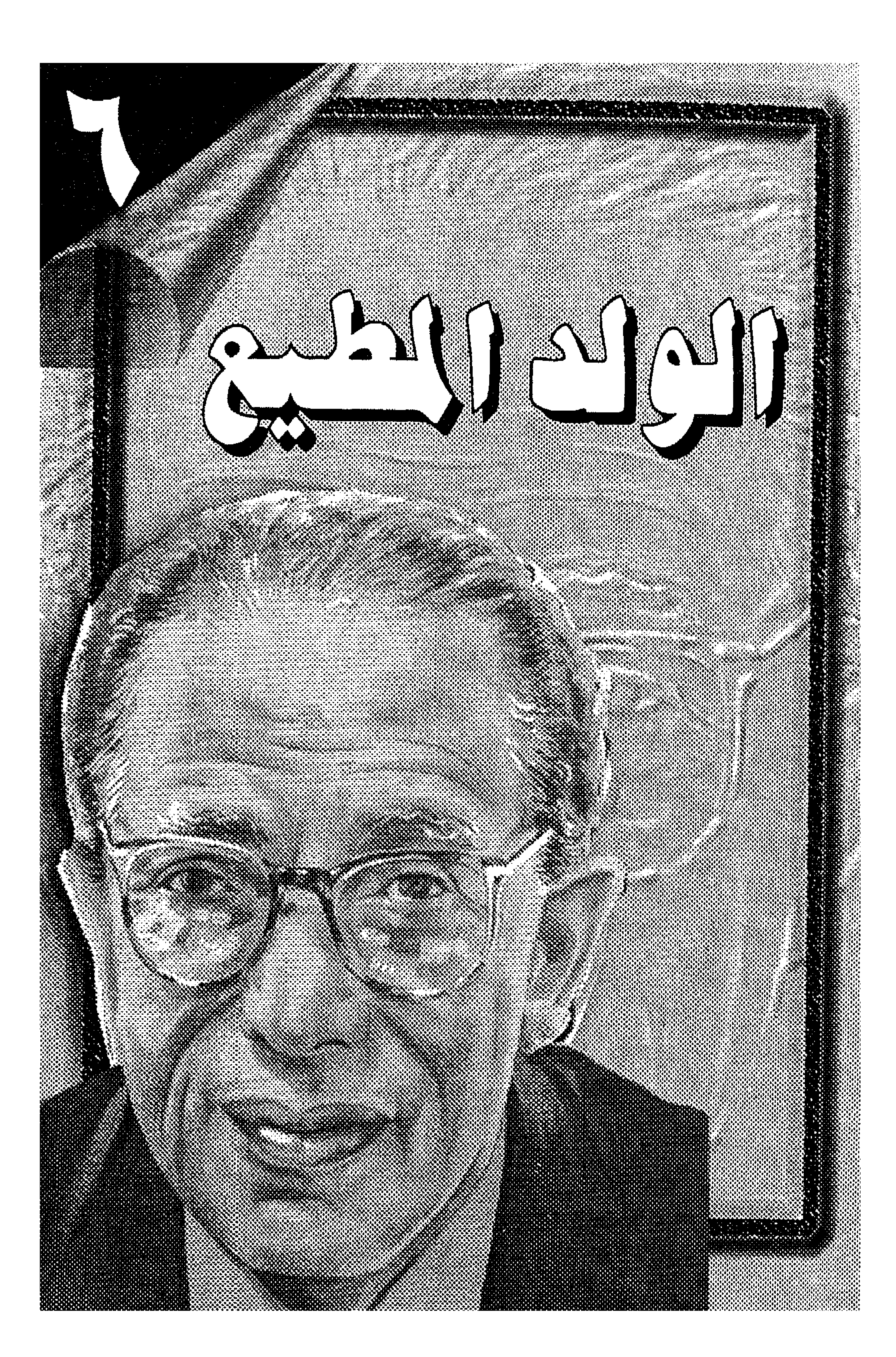
وليس فى سنغافورة خامـات ولا معادن ولا فحم ولا حتى مياه.. وهى ماهى فى ثرائها وتقدمها.. والحاضر الذى نعيشه كدول عربية رغم تعاسته وظـلامه لا ينفى ولا يمنع من تحول فى المستقبل يغير كل شىء.

أقول هذا حتى لا يتواكل الشبـاب وينتظر المعجزات بل ليشـحذ عزائمه ويشمر سواعـده.. فشعار كل مسلم.. إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مـا بأنفسـهم.. وهى السنّـة الإلهيـة الفـاعلـة بطـول التاريخ.

إن الامـام يقول لنـا فى كل صلاة.. استـووا.. وكل المسلمين من أقاصى الأرض يتـوجهون الى قبلـة واحدة.. والملايين يـركعون فى الكعبـة فى لحظـــة واحـدة ويسجـدون فى لحظـــة واحـدة.. وروح الجماعة هى رائد المسلم.

ولن تطول الفرقة.

وشكرا لإسرائيل فعدوانها الفاجر سـوف يجمعنا.. وقنابلها هى الغيث الذى سوف تتفتح عليه عقولنـا وتصحو ضمائرنا بعد طول موات.


٦
الولد المطيع

السيطرة والتحكم فى مقدرات العالم هو هدف الصهيونية الحقيقى وليس صحيحا أن هدف الصهيونية هو إنقاذ اليهود من الشتات أو جمعهم فى وطن وإنما الهدف هو التسلل إلى مقاعد الصدارة وقيادة العالم بالخداع والرشوة والغواية وما حكايات موسى والتوراة والجنس المختار إلا وسائل للتغطية على هذا الطموح المجنون فكل قادة الصهيونية ملاحدة لا دين لهم ولا إيمان وكل همهم الدنيا والفوز بها.

قال النجم السينمائى مارلون براندو وهو يهودى إن اليهود يسيطرون على هوليود ويتحكمون فى مقدراتها.. وقامت قيامة الصهيونية عليه.

ولم يقل الرجل إلا الحقيقة فالسينما الأمريكية التى انحدرت إلى العنف والجنس والدم والمخدرات والعرى.. والفيلم الأمريكى الذى تحول إلى تجارة شرسة تخلو من القيم.. هى شاهد صادق على أن

أمـوال المنتجين الكبــار وأكثـرهم من اليهـود تحولـت بـالفعل إلى الإفسـاد وإلى تـربية جيل جديـد من الشباب على الدعـارة والشذوذ والانحلال والسرقة والقتل والعنف.

لم تعد السينما الأمريكية ذلك الحلم الجميل الذى كنا نستمتع به أيام كلارك جيبل وفيفيــان لى ولورانس أوليفييه.. وإنما تحولت إلى كابوس دموى من اطلاق الـرصاص وتفجير القنابل وإلى شخوص مدمرة مثل شوارزنجر تنسف وتهدم وتدمر وتقتل.

ومثل هذا التحـول الذى أصـاب السينما فى العالم كله بـالعدوى لم يحدث مصادفـة ولم يتم عفويـا وإنما بخطة وتـوجيه وإرادة.. وهى إرادة ما كان ليملكها إلا المنتج الذى بيده الملايين.

والنجم الـواحـد أصبح يتقـاضى الآن ثـلاثين مليـونـا وأربعين مليونا.. وميزانية الفيلم الـواحد تجاوزت المائة مليون.. وهى أموال لم يعـد يملكهـا إلا حيتـان البنـوك وأبـاطـرة البـورصـة وملـوك الصناعـة.. وكلهم يهود صهاينة ولهم هـدف بعيد من هـذا التحول وهذا الإفسـاد.. فالحلم المجنـون بالسيادة على العالم لن يتحقق إلا إذا تحول العـالم إلى عجينة طيعـة وإلى أجيـال رخوة من الشبـاب المخدر الضائع يمكن السيطرة عليها.

ولا تعمــل الســـينما وحـدهـا لتـلك الغـايـة وإنمــا المســارح الاستعـراضية والتليفـزيون والأقمار الصنـاعية التى تبث العمليـة الجنسية بأوضاعها الشاذة طوال الليل على الشباب الساهر المخدر وكذلك مجلات البلاى بوى وصحف التابلويد وكلها يملكها يهود.

وعملاق الصحــافة ودور النشر اليهـودى «مردوخ» يملـك وحده أكبر عشر صحف فى العــالم.. والـــذين يملكـون شركــات الإنتــاج التليفزيونى ومحطات البث أغلبهم يهود وصهاينة مثله.

والمســارح الاستعـراضيــة فى بـرودواى وبيـوت الموضــة.. نفس

الشيء.. وكلها أحاطت بالشباب المسكين إحاطة السوار بالمعصم..
فلم يعد له مخرج ولا مهرب من هذا الإفساد القدرى.

إن السقوط شامل.. والخطر حقيقى.

وبلاد العالم الثالث نصيبها من التدمير أكبر.. لأنها الجانب الأفقر وشبابها هم الفئة الأضعف والأقل وعيا والأقل حصانة.

إنها صيحة حق أطلقها يهودى.. ومن اليهود رجال شرفاء ولاشك.. وقد أثنى القرآن على هذه القلة الفاضلة وقال فيهم:

**« ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون »**

(١٥٩ ـ الأعراف)

فجعل من هذه القلة أمة.

وجعل من ابراهيم وحده «أمة» فى رجل.

وهكذا الشرفاء دائما فى جميع العصور.

ولهذا لا يقف عقلاء المسلمين ضد اليهود ولكن ضد الصهيونية كيهودية منحرفة ضالة ولا يقف القرآن ضد أهل الكتاب وإنما ضد الذين انحرفوا منهم..

ويقول القرآن:

**« من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله»**

(١١٣ ـ آل عمران)

وصدق الله العظيم.

ولا يظلم ربك أحدا.

أقول هذا رغم أن مارلون براندو غُلب على أمره وتكاثر عليه الصهاينة وحاصروه بتهديداتهم وأرغموه على الاعتذار.. ولكن كلمة الحق كانت قد قيلت وملأت الدنيا ولم يعد هناك سبيل إلى محو ما حدث.

ومن قبل مارلون براندو أثار الكاتب الفرنسى روجيه جارودى

موضـوع اضطهاد النازيـة لليهود وخـرافة المحارق وغـرف الغاز والستة ملايين يهودى الـذين أعدموا وقال: إنـها مبـالغات وأكاذيب وأن الـرقـم لا يصل إلى مليـون وأن المستنـدات الحقيقيـة أخفيت والأرقام زيفت.. فقامت قيامة الدنيـا على الرجل وأقاموا له المشانق فى الصحف وقدم للمحـاكمة وحكم عليه بسنة سجناً مـع الغرامة.. وكل هذا لأنه حاول أن يمزق هـذه الشباك العنكبوتية من الأكاذيب ويبدد هذا الضباب من التعمية والتلفيق الذى أغرقوا فيه العالم.

وهم لا يكتفون بأن تكـون معهم وإنما يريـدونك أن تكون تحت سيطرتهم ونفس الشىء بالنسبة لكـل وسائل الإعلام.. فلا أقل من أن يمتلكـوا الصحـافـة ودور النشر وشركـات الإنتـاج السينمائى والتليفزيونى ولا يكفى أن يكون الرئيـس الأمريكى كلينتون حارسا لمصالحهم ومنحازا لهم وإنما يجب أن يكون.. الـولد المطيع.. الذى لا يقـول لإسرائيل.. لا.. ولـو ألقت إسرائيل القنـابل على بيروت وقتلت المئـات فى مجزرة قـانـا وشردت الألـوف من اللبنـانيين وأخرجت أهل الجنوب اللبنانى مـن قراهم وديارهم.. فكل هذا يجب أن يكون حسنا فى نظر كلينتون وأن يبـاركه بلا مناقشة وأن يبرره ويدافـع عنه.. فهو ولـد مطيع.. لا يقـول .. لا .. ولا يجب أن يكون أكثر من بوق لرغباتهم.

وكل الـزعامـات يجب أن تكـون أبواقـا لهم حـارسة لمصـالحهم مدافعة عن جرائمهم.

هذه السيطـرة المجنونة للجماعـة الصهيونيـة هى طابع العصر.. وهى الداء السرطـانى الخبيث الذى يتغـذى على الحكومـات ويوهن الشعوب وينشر الإلحاد والأفكار الهدامة فى الشباب.

والأذرع الأخطبـوطية للماسـونيـة التى وصلت إلى مقاعـد صنع القـرار فى كل الحكـومـات هى وسـائل الضغـط التى تستعملهـا

الصهيونية ليكون كل قرار لصالحها.. وقد اعترف الرئيس الفرنسى ديستان بأنه كان ماسونيا ونشرت الصحف الفرنسية أن كل مستشارى ميتران من الماسون.. والصهيونية تستخدم الضغط والإرهاب والتهديد والابتزاز وتشترى الذمم بالمال وتستعمل الجنس والغواية.. وهى لا تتورع عن أى جريمة تقربها من أهدافها.

ووراء كل الحروب والثورات تجد الأيدى الدموية للماسون والصهاينة.

وهدفهم النهائى أن يصبح العالم كله.. ذلك الولد المطيع الذى لايقول لإسرائيل .. لا.

وهو هدف مجنون.. ولن يتحقق .. لأن العالم ليس مجرد آليات وليس عجينة طيعة وليس مادة يمكن صهرها وصبها فى قالب.

العالم حياة أودع الله فيها الروح والعقل.. وهو قد يكبو مرة وقد يتعثر مرات وقد يدخل فى حروب ولكنه بحكم الروح والعقل المودعين فيه ما يلبث أن يصحو ويفيق ويكتشف أمراضه ويعالج نفسه.

والله لم يخلق العالم ليتركه للشياطين تفسد فيه.. فهو بحكم أسمائه الحسنى.. الحافظ والهادى والنور والحق.. يأخذ بيد هذا العالم إلى طريق النجاة طول الوقت.

وهو يقول فى كتابه عن هؤلاء الصهاينة:

كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله.

إن الله معنا طول الوقت.

وإذا كان الله معنا فمن علينا.

إن هى إلا كوابيس ليل.. وما يلبث الفجر أن يطلع.

## الاتجـــاه شـــرقا

كانـوا يعلموننـا فيما مضى أن الاتجاه غربـا بالنسبـة لمصر هو الاتجاه إلى منابع الحضـارة والتقدم والأمل.. وأن الاتجاه شرقـا هو الاتجاه إلى عالم الأسـاطير والأديان والتخلف.. وكـان أكثر أدبـائنا بالفعل أبناء ثقافـة غربية وسلالة باريسيـة وأنجلو سكسونية مثل طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم.

وكـانت هناك مبررات وجيهـة لهذا الـرأى .. فقـد كانت مبـادىء الحريـة وحقوق الإنسـان والفلسفـات المتنوعـة والعلـوم المتقدمـة والتكنولوجيا المتطورة تأتينا مـن هناك.. وكان لابد للأديب والمفكر أن ينهل من تلك المناهل ليجدد عقله.

ولكنى أعتقـد أن الوضع قـد اختلف كثيرا فى زماننـا وأن الصورة قد اختلفت بعـد التغلغل الصهيونى الذى لـوث كل الينابيع فى دول الغرب.. وأن حقـوق الإنسان قد انقلب معناهـا فأصبح قتل مائتى ألف مسلم بـوسنى وهتك أعـراضهم واغتصاب نسـائهم وتشريد الملايين من أهليهم.. وهـدم مـدن الشيشان على سكـانها.. وكفاح المواطن اللبنانى الجنوبى ليحـرر أرضه.. وكفاح الفلسطينى ليخرج الغـاصـب المحتل.. كل هـذا أصبح لا يـدخل تحت بنـد حقـوق الإنســان.. لأنهم مسلمـون.. والمسلمـــون قـد سقطت حقـــوقهم واستبيحت دمـاؤهم وأصبح المطلـوب مطاردتهم.. وأكثـر من ذلك أصبح الكفر بـالله والطعن على الأنبيـاء والشك فى نبوة المسيح وفى وجود الله.. كل هذا أصبح مباحا وحقا أساسيا من حقوق الفرد فى أوروبـا بينما أصبح أى مساس بـالصهيـونية وأكـاذيبها محرمـا ومحظورا على أى مفكر أو كاتب ومحروسا بقـوانين صـارمة تدخل من يخالفهـا السجن.. وجـارودى أوضح مثـال على ذلك.. حينما قدموه للمحـاكمة لإثارته للشك فى رقم الستـة ملايين يهودى الذين

تدعى الصهيونية اعدامهم.. والعجيب أن المجلة التى تصدت للهجوم عليه هى نفسها التى نشرت فى نفس الوقت رواية سلمان رشدى «آيات شيطانية» وهى الرواية التى تسب النبى محمد عليه الصلاة والسلام وتسب الإسلام.. وهذا فى عرفهم مباح.. أما المساس بأى أسطورة يهودية أو أى أكاذيب صهيونية فلا حق لأحد فيه.. وقد رأينا ألمانيا تقف مع إسرائيل فى عدوانها على لبنان ورأينا جون ميجور يؤكد حق إسرائيل فى هذا الإجرام.. والرئيس الأمريكى كلينتون يبارك هذا الظلم.

هذه الخيانة الصريحة لكل الأعراف والقيم والمبادىء.. وهذا السقوط المخجل والمشين للعقل الأوروبى وللحضارة الغربية برمتها هى وصمة هذا العصر وعار هذا الزمان.

وقد قتل فى لبنان مسيحيون ومسلمون فلم يتحرك الوجدان المسيحى فى أوروبا ولا فى أمريكا.. وفى فرنسا تعرض المسرحيات التى تسخر من الله ومن المسيح فلا يعترض عليها أحد ثم يكتب سطر واحد موضوعى ومؤيد بالمستندات يشكك فى أكذوبة صهيونية فتهب الصحافة كلها ويتحرك القضاء لمحاكمة الذى نطق بهذا الإفك وسطر هذا الجنون ويتدافع الكل يطالب بسجنه.

هل هذه هى حقوق الإنسان.. وهل هذه هى الحرية الأوروبية.. وهل هذه هى الحضارة الغربية.. أم أن ما نراه هو مذبحة الحرية وانتهاك الحضارة على يد حفنة من المتآمرين الصهاينة وضعوا أيديهم على منافذ الحكم واستولوا على منابر الرأى.. وساقوا الشعوب الأوروبية أمامهم كالقطيع.

هل هذه هى القبلة التى نتجه إليها لنأخذ منها .. هل هذا النبع الملوث هو الذى نشرب منه.

لا والله بل نتجه شرقا.. إلى الصين.. وإلى الأمل الجديد البازغ..

إلى حيث لم تـدخـل الصهيـونيـة بعـد ولم تلـوث اليـنـابيع الأولى للإنسانية..

نتجه إلى الفطرة والبكارة.

ونتمسك بكتابنا الذى لم تبدله يد.

ونلتمس العون دون أن نفرط فى قيمنا وحضارتنا.

ونقدم عزاءنا لأوروبا فى حضارتها التى ماتت.

## الـبـرامـكـة

إسرائيل فى حالة زهـو وعلو وانتفاخ وغرور.. ولكن كل مـا تزهو به ليس ملكا أصيلا لها بل هو مستعار من الآخرين.. المال أمريكى والسـلاح أمريكى والتكنـولوجيـا النوويـة أمريكيـة والظهر الـذى يسـانـدهـا فى الأمم المتحـدة أمـريكى.. وأوربـا تغمض العين عن إجرامها إرضاء للحليف الأمريكى.

كل هـذه القوة منتحلـة وليست أصيلة.. بـاروكة.. ولكن الـرأس تحتها أقرع ليس فيه شعرة واحدة.

إنهم البرامكة الذين تسللـوا إلى الحكم فى عصر الرشيد.. والمماليك الذين تسللوا إلى العسكرية فى عصر محمد على..

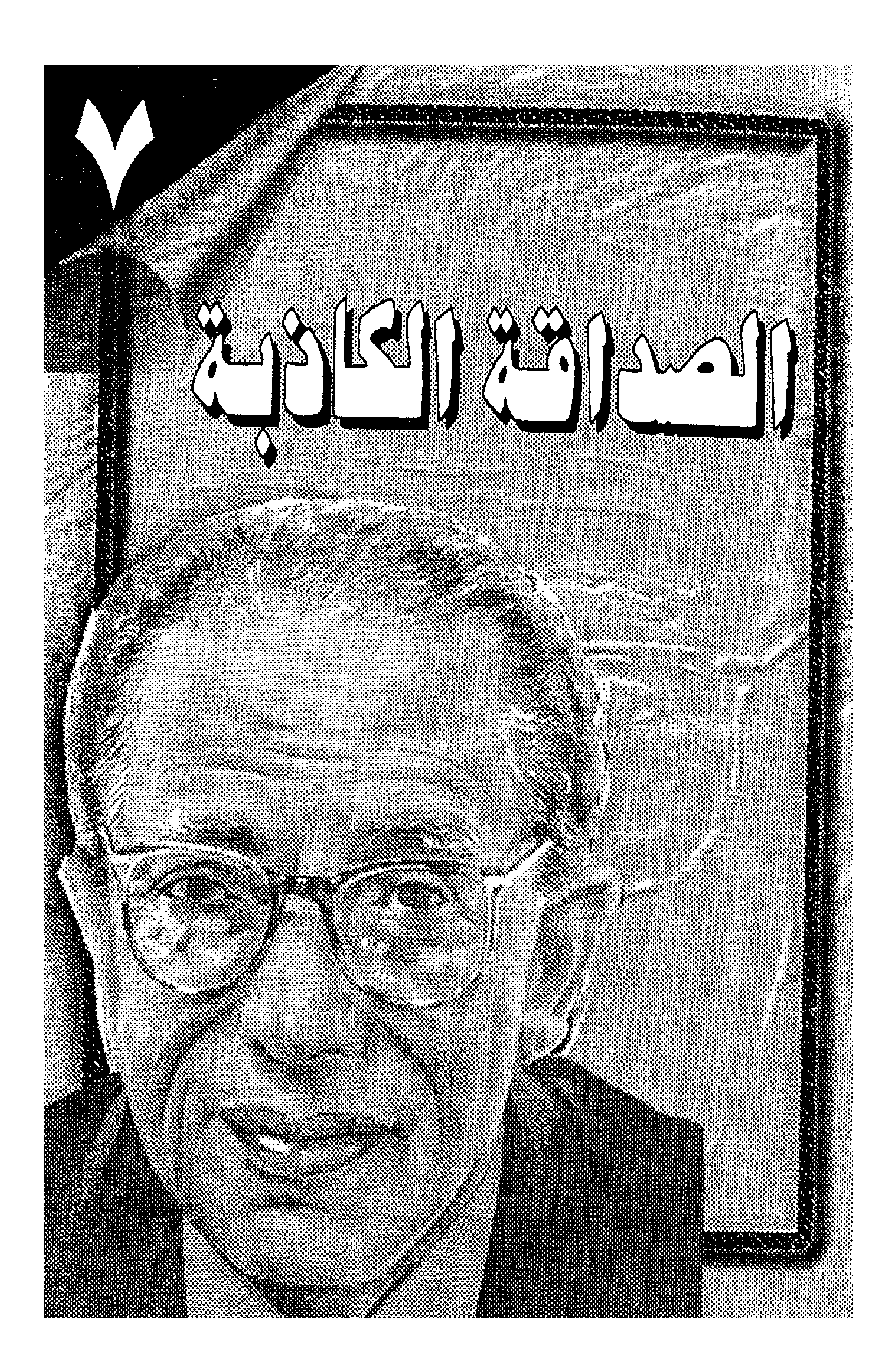
والسيادة الإسرائيليـة ظرفية ومـوقوتة ولـن تدوم فالـولد المطيع الـذى أغدق عليهم المال وفتح لهم الخزائن لن يبقى لهم إلى الأبـد.. والظروف السيـاسية التى أتت بهم سـوف تتخلى عنهم.. ونهايتهم ستكون مثل نهاية البرامكة ومثل نهاية المماليك فى مذبحة القلعة.

إن التاريخ يعيد نفسه هذه المرة على اتسـاع الرقعة العالمية وليس فى قصـور بغداد وقلعة المحـروسـة.. ولنفس الأسبـاب.. فالنمـو السرطانى لا يمكن أن ينتهى نهايـة طبيعية لأنه هو نفسـه نمو غير طبيعى.. بل نمو متطفل.. نهايته الموت الحتمى إذا انقطع عنه الغذاء وامتنع عنه الدم.

إضبطوا ساعاتكم..

إسرائيل تتسارع إلى ذروتها ثم يبدأ العد التنازلى للنهاية.

والأربع سنوات القادمة هى ما تبقى من عمرها.. قد تقل.. وقد تزيد الله أعلم.. ولكن الانهيار مؤكد.. والسعداء هم المكتوبون عند الله أسبابا لهذا الانهيار وعوامل مساعدة لتقويض هذا الظلم.. فبهم سوف تتم العبرة وسوف تعلو الحكمة الإلهية.. بأنه لا يصح إلا الصحيح.



٧
الصداقة الكاذبة

إن إسرائيل تدعى دائما أنها صديقة لمصر.. ولكن ترسانتها النووية التى وضعتها على حدودنا تطعن فى هذه الصداقة.. فكيف يلجأ الصديق إلى إرهاب صديقه.. والإرهاب سلوك لا يلجأ اليه إلا عدو.

وإذا كانت إسرائيل لا تطمئن إلينا فكيف نطمئن إليها.

وحكاية أن الترسانة النووية الإسرائيلية مقصود بها ايران.. هى نكتة فالتوراة المتداولة والتى يتلوها كل اسرائيلى هى منشور سياسى ضد مصر وأكثر آياتها تهدد مصر بالويل والثبور وعظائم الأمور.. ولا تذكر حرفا واحدا عن إيران.

والتوراة تطلق على مصر اسم .. « بيت العبودية ».

ونقرأ فى الإصحاح « الحادى عشر من سفر أشعيا ».

**« ويبيد الرب لسان بحر مصر ويهز يده على النهر بقوة**

**ريحه ويضربه إلى سبع سواق يعبر فيها بنو إسرائيل بالأحذية وتكون سكة لبقية شعبه كما لإسرائيل يوم الخروج من أرض مصر».**

**« فهذه نبوءة بغزو إسرائيلى لمصر.. يدخلونها بالأحذية كما خرجوا منها فى حماية الرب منذ آلاف السنين».**

وفى الإصحاح ٤٣ من نفس السفر:

**«لأنى أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك جعلت مصر فدية لك »** فنحن إذن خروف الضحية يذبحه الله فدية لشعبه الحبيب إسرائيل .

وفى مكان آخر من نفس السفر يقول الرب « **أهيج مصريين على مصريين فيحارب كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه مدينة مدينة ومملكة مملكة وتراق روح مصر داخلها وتضيع مشورتها فيسأل كل واحد العرافين والتوابع والجن وأغلق على المصريين فى يد حاكم قاس فيتسلط عليهم».**

وتجف الحياة من البحر ويجف النهر وتنتن الأنهار وتضعف السواقى ويتلف الزرع وتجف الرياض والحقول على ضفاف النيل.. والصيادون لا يجدون صيدا .. وكل من يلقى بشص إلى النيل ينوح.. ويكتئب كل عامل بالأجرة.

لقد ألقى الرب عليها روحا شريرة أوقعت مصر فى ضلال وأضلت أبناءها فإذا بهم يترنحون كالسكران فى قيئه فلا يكون لمصر عمل يعمله رأس أو ذنب.

فى ذلك اليوم تكون مصر كالنساء ترتعد وترتجف من يد رب الجنود وهو يهزها.

وتـكون أرض إسرائيـل ويهوذا رعبا لمصر.. كل من ذكرها يرتعب.

إن الرعب المطلوب إذن ليس لإيـران.. ولا ذكر لإيران فى التوراة.. ولكن الرعب المطلوب هـو لمصر ولأهل مصر.. والحقد كله على مصر وعلى أهل مصر.

والمطلوب أن يرتعد رجال مصر كالنساء رعبا من إسرائيل.

يتلو اليهـود كل يوم هـذه الكلمات المسمـومـة فى توراتهم ويخططـون سياستهم على وفـاقها.. وهـم قد وضعـوا ترسـانتهم النوويـة على حدود مصر لإرهاب مصر.. وحتى يرتعـد رجال مصر كالنساء رعبا من قوة إسرائيل.

وهذه هـى الصداقة الإسرائيليـة.. والصداقـة الأمريكيـة تأتى فى ركـابها.. ولقـد دافعت أمـريكـا عن نهب إسرائيل لأراضـى القـدس بإصدار فيتـو فى وجه مصـالح العرب جميعهم.. وجـاء البنك الدولى وصنـدوق النقـد الـذى يسير فى ركـاب الاثنين بنصيحـة مـدمـرة لـلاقتصـاد المصرى هى تخفيض قيمـة الجنيـه.. وهى نصيحـة خسفت باقتصاد المكسيك وأنزلته إلى الحضيض.

وقال الـدكتور عـاطف صدقى : إن هذه النصيحـة سوف تـدمر اقتصادنا.. ورفض أن يعمل بها.

وهؤلاء هم أصدقاؤنا ياسادة..

وهل من شيمة الصديق أن يضر صديقه..؟؟ أو يدمر اقتصاده.

إن اتهامنا لا يأتى من فراغ.

إنـه يأتى نتيجة نظـر فى التاريخ وفى العقيـدة التى تحكم حركـة هؤلاء النـاس وفى سجل أعمالهم وفى صحيفة عـدوانهم التى لا يمر

يـوم دون أن يضيفـوا إليهـا الجديـد فى أعمال القتل والنسف والحصار والتشريد.

وما وجدناهم وعدوا إلا أخلفوا ولا واثقوا إلا كذبوا.. وما وصفهم الله فى قرآنه بالمفسدين ظلما.. تعالى ربنا عن ذلك علوا كبيرا.. فكيف نصف أفعالهم تلك بالصداقة والإخوة.. وكيف نطمئن إليهم وهم لا يطمئنون إلينا.

وكيف نطالب شعوبنا بالتطبيع والتعامل الودود مع مثل تلك الخصال.. إن الأيدى تتصافح أمام التليفزيون والقلوب كل قلب فى واد.. وكلمات السلام تموت على الشفاه بلا معنى.

والسلام كلمة يتيمة الأبوين كل واحد يدعيها لنفسه دون شهادة ميلاد صحيحة ودون إثبات.. وآخر عهدنا بالسلام كانت حرب الخليج التى خطط لها الرئيس بوش وادعى انها كانت لخدمة السلام والحقيقة انها كانت لنهب الثروات الدولارية والبترولية للمنطقة ولإغراق البيت العربى فى أحقاد عربية عربية لا تنتهى.. وقد عادت الجيوش الأمريكية وتركت المعتدى يشاغب ويهدد كما يشاء دون أن تمس شعرة من رأسه.. ومازالت نيران الحقد مشتعلة.

إننا نسير فى حقل ألغام وفى بحر من الرمال الناعمة.. وهذا شعور أسمعه من كل مصرى ومن كل مستمع إلى الأخبار أو قارىء للصحف أو متأمل للأحداث.

ومطلوب وقفة صدق مع النفس ومع الطرف الآخر.. فلن يكون هناك تقدم ولو شبرا واحدا.. بالافتعال.. وبالمانشتات الصحفية المصطنعة.. وبالتصفيق الفج.. وبالتذرع بالأمانى والأحلام.

هناك صراع عربى إسرائيلى على كل المستويات والأصعدة.

وعلى الطرف الإسرائيلى أن يبرىء نفسه بالأفعال.. وأن يبدأ بإزالة ترسانته النووية من حدودنا.. قبل أن يكون هناك حديث فى أى موضوع وقبل أن يسمى نفسه صديقا أو حليفا أو حتى جارا يدعى المسالمة لجاره.

والسياسة حسابات وليست مقامرة.. ولا يوجد رئيس يقامر بشعبه.. وقد دخل عبدالناصر بشعب مصر وبكل العرب فى حرب ٦٧ الخاسرة.. ولن نقبل مقامرة أخرى.

إن الاجماع الكامل وراء الرئيس مبارك والفرحة الشعبية بنجاته والتأييد الكاسح لسياسته هو قوة تفاوضية جديدة يمنحها الشعب لمبارك وسند إضافى يقوى به مواقفه على المائدة السياسية مع أطراف المشكلة العربية الإسرائيلية.

إنه الآن لم يعد صوتا واحدا ولكنه أصبح مائة مليون صوت فى مقابل خمسة ملايين صوت إسرائيلى تريد كل شىء مقابل لا شىء.

إن إسرائيل تريد التطبيع الكامل مع مصر وترفض أن ترفع سوط التهديد النووى عن حدودها.

والذين أعطوك البيعة ياسيادة الرئيس يريدون مستقبلا آمنا لهم ولأولادهم ويرفضون هذا التهديد.

وهم مائة مليون عربى.. ولهم عليك حق عرب.

ولا تشغل نفسك بالسودان ياسيادة الرئيس فما كانت الأيدى المعتدية سوى الأداة الرخيصة التى استأجرتها الأموال المتآمرة بفائض مضارباتها البنكية فى ذلك اليوم.

والاشتباك مع السودان هو منتهى أمل هؤلاء المتآمرين الكبار.

منتهى أملهم أن ندير ظهرنا للقضية ونضرب بعضنا بعضا.

وذلك أكبر عائد يحققونه لأنفسهم بذلك الشيك التافه الذى قدموه للمعتدى.

ولن يصل المتآمرون إلى مرادهم أبدا فالله سوف يحرس هذا البلد واسم بلدنا فى كتب التاريخ سيظل دائما.. «مصر المحروسة».

# قطـــر ومســـقط

منتهى أمل إسرائيل أن يتصرف العـرب كقبائل متفـرقة متنـاحرة لا تجتمع على شىء.. وقـد أقـامت سيـاستهـا على هـذا المفهـوم.. فحاولت أن تنفرد بكل طرف بعيـدا عن القطيع وتغلق عليه الأبواب فى محادثات سرية.. فعلت هذا مع كـل الأطراف.. وهو أسلوب لئيم يبحث عن نقاط الضعف ويلجأ إلى الإيقـاع والتفريق لا إلى الصراحة والمواجهة.

وكـان الصديق الأمـريكى الكبير يأخذ الأطـراف واحدا واحـدا فى معازل داخل الغابات والمنتجعات الـريفية وفى غرف مقفلة وقاعات معـزولة لا يـدخلها صحفى ليتم حصـار المفاوض العـربى بكافـة وسائل الضغط والغواية حتى يسقط من التعب والإرهاق.

أسلوب عصابات وليس أسلوب دول محترمة.

ومحادثات أوسلـو التى أدت إلى سقوط عـرفات كـانت لونـا من ألوان هذا التحايل.

وقد سارعت قطر ومسقط إلى طلـب القرب وإلى السكة التى ظننا أنها سكة السلامة فأرادتا أن تسبقا إليها الآخرين.

وسمعنا صـوت قطر فى اجتماع شرم الشيـخ يهرول إلى شمعون بيريز ويقـول: أبواب قطر مفتوحـة لك تحل فيها متى تريـد بدون دعوة ياسيادة الرئيس.

هى مسرحية تـاريخية عجيبـة ولا شك.. والأبطال يسـارعون إلى حتوفهم فى استسلام قدرى غريب.

وإسرائيل تعلو وتعلو.

وهـذا أمـر يـدعو إلى الاطمئنـان فهـذا دليل على أن الـروايـة لن

تطول.. وأن النهاية تقترب فالفصول تتابع هرولة وقفزا.. ونحن نوشك على العلو الكبير الذى تحدث عنه القرآن.. وبالتالى نقترب من الختام.

ياعرب اقرأوا قرآنكم وتدبروا معانيه.. ولا تتعجلوا مكاسب اليوم ولا مصالح الساعة وحاولوا أن تحجزوا لكم مكانا فى المستقبل.

فالمستقبل سوف يختلف كثيرا عن الحاضر.

والسنوات القادمة هى الخافضة الرافعة التى سوف تجعل الذين فى الأعالى فى الأسافل والذين فى الأسافل فى الأعالى.

افتحوا أعينكم على الجرف الهاوى الذى تقفون عليه.

إن ربكم لا يكذب.

وهل يستطيع أحد أن يتكلم بيقين عن المستقبل غيره.. وهو الوحيد الذى بيده مقاليد الأزمنة والمقادير والأعمار.. والمستقبل بين يديه كالآن.. والتاريخ تحصيل حاصل.

ياأمة القرآن.

من أصدق من الله قيلا؟؟!!

إنما هو الفرز النهائى بين المصدقين والمكذبين وبين الناجين والهالكين.. وليس قرآننا وحده الذى يقول هذا الكلام ولكن أناجيلهم وتوراتهم.. ثم أكثر من هذا واقعهم الذى يتحدث بأفصح من كل كلام.

أقلية من شذاذ الآفاق تصعد بالحيلة والمكر على هرم من الأكاذيب.. وتتصور أنها يمكن أن تسود العالم بتلك الأكاذيب.

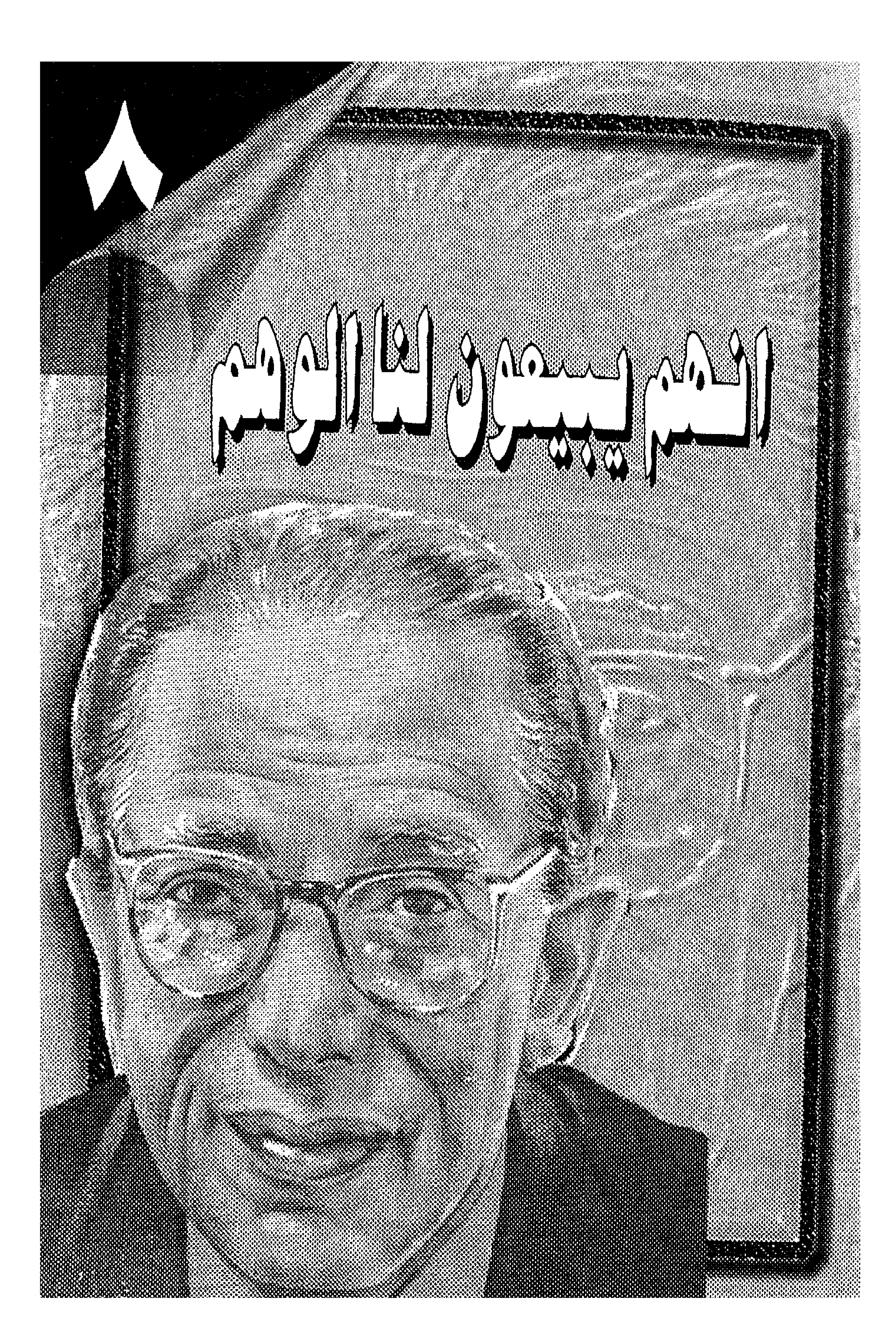
نباتات طفيلية متسلقة تسلقت على الأشجار الأمريكية العملاقة

لتصل إلى عين الشمس ودفعت بأجهزة الإعلام التى تملكها لتصفق لها.. وتملأ العالم بدوى الطبول الفارغة.. وانخدع العرب وتسارعوا كل واحد يحاول أن يحجز مكانا فى سفينة المستقبل التى سوف تحملهم إلى بلاد الكنوز والأحلام وإلى أرض اللبن والعسل.. ولا شىء هناك سوى الأكاذيب.. وسوى الرعب النووى والأسلحة الكيميائية والسيطرة الاقتصادية والإفساد والإفقار والتهديد والإذلال.. وحقد مئات السنين يحاول أن ينتقم لنفسه.

وأحلام السيادة والعنصرية.. والنازية الألمانية تعود فى ثوب جديد رهيب مسلح بالمخالب النووية.

والزعماء العرب الذين هرولوا.. إنما هرولوا وجرجروا شعوبهم إلى هاوية.. افتحوا العيون ياسادة.. وأصيخوا السمع.. فلاشىء هناك سوى القتل.. فهم يلقون بقنابل على الجنوب اللبنانى.. وهم ينسفون البيوت فى فلسطين.. وهم يضربون حصار الجوع حول الأبرياء.. وهم يلقون بالمئات فى السجون.

وحاشا لله ولا أقول انه قد أصابنا جنون البقر.


٨
انهم يبيعون لنا الوهم

يتحدثون عن ثقافة السلام.. !!

أين هو ذلك السلام الذى يتحدثون عنه.. والحقائق تقول: إن إسرائيل قامت بخمس عشرة عملية تجسس عبر سيناء مشفوعة بمحاولات لترويج المخدرات والعملات المزيفة إلى بلدنا فى عهد السلام السعيد.. وهذا كلام صحافتنا القومية وليس كلام صحف المعارضة وهو ماتم ضبطه حتى الآن وما خفى كان أعظم..

وعلى بعد كيلو مترات قليلة من حدودنا تضع إسرائيل ترسانتها النووية وتزودها بما تشاء من قنابل ميكروبية ورؤوس كيمائية.. وترفض أى مفاوضات بشأن إزالتها وتضاعف من أسلحتها القتالية كل يوم بضمان من أمريكا بأن تظل متفوقة عسكريا على مجموع ماعند الدول العربية من سلاح.. ومن وراء الحكومة الاسرائيلية شعب يقدس القتلة أمثال باروخ جولدشتين وإيجال عامير.. رموز الحقد والكراهية لكل ماهو عربى.

وتحت هذه المظلة من الرعب يرسلون الوفود ويباشرون المفاوضات.. ويقولون: التطبيع أولا.. تطبيع على ماذا.. ؟ وكيف يغامر رئيس حكومة عربى بشعبه فى مقابل صفقات من الوهم.. وكيف نضع أيدينا فى أيدى من يتجسس علينا وفى أيدى من يقتل أسرانا غيلة.. ومقابر سيناء الجماعية شاهدة عليهم وعلى أيديهم الملطخة بالدم.

وهذا ربنا يقول عن مواثيقهم:

**«لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون»** (٧٠ ـ المائدة).

وتلك مواثيقهم مع الله..

كيف نصدقهم..؟!!!

وكيف يأتمنهم حاكم على شعبه والله أحكم الحاكمين لم يأتمنهم ولعنهم وشتتهم وقطعهم فى الأرض أمما وضرب عليهم الذلة والمسكنة أينما كانوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس.

وبذلك الحبل الممدود من الناس (أمريكا والغرب) استأسدوا علينا وعلى الدنيا.

كيف يستقيم الحكم لحاكم دون أن يدخل كل هذا فى حساباته..؟!!!

نعم نريد السلام .. ولا أحد يرفض السلام.. ولكن مايجرى حولنا ليس سلاما.. بل تكديس للسلاح وارهاب بالتهديد النووى وتجسس وتخريب للاقتصاد بالعملات المزيفة وإفساد بالمخدرات وحصار بالتحالفات العسكرية ومعاهدات للدفاع المشترك مع هذا وذاك تحسبا لمواجهة يرونها محتومة.. بينما نحن غرقى فى شهر عسل السلام.

ومازالت المستوطنات الإسرائيلية الجديدة تبنى فى داخل القدس والضفة وحول الجيوب المعزولة المحاصرة التى أسموها بالدولة الفلسطينية بمعدل ألف وخمسمائة فدان من الأرض تستولى عليها إسرائيل شهريا رغم أنف السلام المزعوم.. وهذه إحصائية الجامعة العربية وليس كلام جرائد.

ومازالت إسرائيل تحاول أن تقتطع حصة من الجولان السورية وتساوم على القيراط والذراع والشبر وتشترط عليها بناء مراكز استشعار وبث العيون من حولها فى الأرض والجو.. ولا أمان.. ولا اطمئنان.. ولا ثقة.. ولا صدق فى أى شىء.

والسلام العربى الإسرائيلى يتحول بالتدريج إلى ذريعة للتدخل فى كل صغيرة وكبيرة فى شئون المنطقة تحت ستار مشروعات مزدوجة وشراكة ومعونات وقروض ظاهرها الرحمة وباطنها الاستيلاء التدريجى على مقدرات المنطقة وإدارتها لصالح استعمار جديد يتسلل إلى الماء الذى نشربه واللقمة التى نأكلها والقمحة التى نزرعها وفتلة القطن التى ننسج منها ملابسنا والكلمات التى تنشر أو لا تنشر فى صحفنا والأفكار التى نتداولها وما نحب وما لا نحب وما نقبل وما نرفض وما نعتاد وما لا نعتاد.. تحت مسميات بريئة.. مثل ثقافة السلام واقتصاد السلام وأدب السلام وضرورات السلام.. إلى آخر هذه الكلمات الخادعة المضللة وبالونات الدخان التى يطلقونها للتعمية ولستر عملية التسلل التى يقومون بها فى دهاء.

هناك مشروع خبيث للتسلل البطىء والتدريجى والتدخل السرطانى فى نسيج حياتنا.

والضغط المتواصل والسخيف على الرئيس الأسد يحدث مثله

على جميع الأصعدة وتعتمد السياسة الأمريكية على سياسة.. العصا والجزرة.. التى يستخدمها مدربو الوحوش لإدخال النمور فى أقفاصها.. الإغراء والتهديد بما حدث للمشاغبين أمثال صدام والقذافى وما جرى على العراق وليبيا وما أصاب الشعب الليبى والشعب العراقى بسبب العناد.. وماجرى على أهل العناد من مسلمى أوربا وآسيا فى البوسنة والشيشان.. والنصح الخبيث بأن التفاهم أفضل والتعاون مع السيد الإسرائيلى والحليف الأمريكى أفضل.. فأمريكا هى القوة الوحيدة القادرة فى العالم وإسرائيل هى الدولة الديمقراطية الوحيدة فى المنطقة وهى رمز التقدم والاستقرار.. ولكن الحقيقة هى العكس تماما.. فأمريكا هى أكبر دولة مدينة فى العالم. وهى مهددة بالإفلاس وبالانهيار من داخلها بصراع الأبيض والأسود وبغول المخدرات والإيدز والانحلال الأسرى.. والبنيان الإسرائيلى يتآكل من داخله بصراع الفلاشا والاشكيناز وصراع يهود الشرق ويهود الغرب وأصولية الحاخامات وانتهازية الساسة وشح الماء وتصحر التربة.

ولن تنتصر إسرائيل ولا أمريكا فى مخططهما ولن يمضى مشروع السلام إلى غاياته الخبيثة ليس لأن العرب أقوياء أو عباقرة.. ولكن لأن الكون تحكمه إدارة غير إدارة البيت الأبيض ويرأسه عظيم غير كلينتون.. والدنيا لها رب يحفظها من الفساد والمفسدين.

والله الذى خلق العرب والأمريكان والإسرائيليين يريد للمنطقة شأنا آخر ونهاية مختلفة غير ما يحلم به الكنيست.

إن القوة الوحيدة التى تقف عقبة أمام الحلم الإسرائيلى الأمريكى هى الإسلام وقد حاولوا تشويهه واستعملوا الأيدى

العربية والرايات العربية التى ترفع شعارات الإسلام واشتروا الضمائر الخربة واستغلوا التمزق الموجود فى الصف العربى.. وجعلوا من الدين (وبأيدى أهله) محضنا لتفريخ الإجرام والإرهاب وترويع الناس.. وحرضوا الكل على الكل واتفقوا مع الكل من وراء ظهر الكل واستخدموا مكرهم وسذاجتنا واتحادهم وتفرقنا ليصنعوا المأساة التى نعيشها اليوم.

## منعطف خطير

والراصد للمناخ الفكرى والاجتماعى الذى نعيش فيه يكتشف ان هناك اتجاهات غوغائية لاستخدام الدين كمنصة لإطلاق صواريخ الهدم والتخريب والبلبلة ونشر الفوضى.

الذين بدأوا بحسن نية جهدا بناء فى موضوع الاقتصاد الإسلامى والبنوك الإسلامية والتوظيف الأمثل للمال.. مالبث أن خرج عليهم من قام بتكفير البنوك جميعها ومن وصمها بالربوية ونهب المال الخاص والعام.. ثم خرج من عباءة هؤلاء عصابة من أصحاب الجلابيب واللحى والمسابح تنشىء فيما بينها شركات توظيف أموال إسلامية وتعد المساهمين بأرباح تتجاوز الخمس وعشرين فى المائة بطريق المضاربة الإسلامية الحلال.. وفى خلال شهور كانت الملايين تتدفق فى جيوب الريان والسعد والشريف والهدى وما لبثت أن تجاوزت المليارات ثم اتضح عجز هؤلاء الناس عن استثمار تلك المليارات ولجوؤهم إلى قنوات مريبة مثل الاتجار فى العملة والمضاربة على أسعار الذهب وإيداع أموال الناس فى البنوك الأجنبية بالربا.. (الربا الذى لعنوه من قبل وقالوا فيه.. لأن ينكح الرجل أمه أهون من يودع ماله بالربا) واتضح انهم كانوا يعطون عملاءهم تلك النسبة العالية من الأرباح من ودائع الآخرين وليس من الاستثمارات الحلال التى يجمعونها.. ثم كانت

فضيحة كبرى.. ومحاكمات.. وسجون.. وضاعت أموال الناس الطيبين.

ثم جاءت الموجة الثانية وطلع علينا دعاة إصلاح دينى من لون آخر أخطر.. أصحاب لحى ومسابح وجلابيب يحملون الكلاشنكوف والقنابل اليدوية.. يقتلون الناس ويفجرون المرافق وينسفون المنشآت.. بدعوى أن الديار ديار كفر ومن التقوى هدمها وإزالتها.. ثم اتضح أن وراءهم منظمات ومعسكرات تدريب وملايين الدولارات تتدفق من بنوك أجنبية.. وصهيونية ماكرة تستعملهم لتمهيد الأرض وحراثتها حسب مخططات معلومة لهدم الإسلام بالإسلام وهدم الحائط المصرى.. العائق الوحيد الذى يقف أمام إسرائيل الكبرى.

ثم جاءت الموجة الثالثة على استحياء.. هذه المرة بهدف التفتيش فى الضمائر واتهام النيات.. وسلاحها الجديد هو «دعوى الحسبة» وحق المسلم فى تجريم وتكفير من يرى أنه من أهل الزيغ والباطل عملا بالمبدأ القرآنى.. «**الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر**». وهو تفسير سيىء وخاطىء لنظام الحسبة.

والمبدأ القرآنى لا يحمل هذا المعنى أبدا.. لا يدعو إلى التفتيش فى الضمائر واتهام النيات وقراءة ما بين السطور.. ثم أن دعوى الحسبة لا يمكن أن توضع فى يد أى إنسان بلا ضوابط.. وإطلاقها للكل معناه عودة محاكم التفتيش.. وسجون ومشانق العصور الوسطى.. وإذا كان البابوات قد فعلوها.. فليس فى إسلامنا بابوات.. والتفريق بين المرء وزوجه هو من أعمال الجن والسحرة.. ولا يليق بمسلم يتقى الله.

وإذا فتحنا هذا الباب فسوف يتوقف الاجتهاد وتموت الصحوة الإسلامية فى مهدها.

ولقد كنت هدفا لتلك الموجة حينما أصدرت كتابى.. « القرآن محاولة لفهم عصرى».. فطلع من السودان كتاب أسود فى حقى من تأليف محمودمحمد طه يتهمنى بالكفر والضلال.. وقد شنق هو نفسه بعد ذلك بنفس التهمة.. شنقه حكم قضائى فى عهد النميرى.. ولم يكن الكتاب الوحيد الذى اتهمنى بل تلاه عدة كتب.

واتهمت حينذاك بأنى قاديانى وبأنى بهائى.. وأوقف الكتاب من التوزيع فى مصر.. ثم أفرج عنه بتدخل شخصى من الشيخ عبدالحليم محمود شيخ الأزهر حينذاك والدكتور عبدالعزيز كامل وزير الأوقاف.. والدكتور عبدالعزيز كامل كان من الاخوان والشيخ عبدالحليم محمود كان صوفيا عالى المقام.. ولولا هذان الرجلان المستنيران لظل كتابى إلى الآن فى المخازن.

إن التفتيش فى الضمائر من عمل الله وحده.. ولا يجوز أن نتهم بالكفر من يقول لا إله إلا الله.. والذين أخذوا الإسلام بالوراثة وبدون اختيار وإعمال فكر لا يصح أن يتهموا بالردة إذا طرحوا موروثاتهم الإسلامية ومسلماتها وبدأوا فى إعادة النظر وإعمال الفكر.. فهذا حق كفله الله للمسلم.. إنه من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.. والمسلم بالوراثة وبدون فكر صاحب حق عند الله فى أن يعيد النظر ويفكر ويقبل أو لا يقبل دون أن يخرج عليه واحد ليقتله باسم حد الردة.. إنما الحد ينطبق فقط على من آمن ابتداء باقتناع ذاتى وقبول شخصى.. ثم ارتد بعد ذلك وخان أمانة عقله واختيار قلبه لهوى أو مصلحة وأخذ جانب أعداء الدين.. فهو بهذا المعنى ينطبق عليه ما ينطبق على الجاسوس الذى انضم لأعداء وطنه وخان بلده.

وليس فى سنة الإسلام تكبيل العقول ولا سجن الأفكار.

والله لا يحب الذين يأتونه يقولون «**حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا**» (١٠٤ المائدة).

بل هى فى القـرآن تهمة أن تأخـذ الـدين تقليدا عن الآبـاء دون اقتناع ودون إعمال عقل.

والله لا يحب أن تأتيه كرها.. وغصبا.. بسيوف الآخرين.

وهو يقول لنبيه.. «**أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**».

ويقول له : « **إن عليك إلا البلاغ**».

وإذا كان القـرآن يأخذ الجزية ممن يـرفض الإسلام ويبقى على دينـه.. فإنما هى ضريبة دفـاع لأن جيـوش المسلمين سوف تتـولى الدفاع عن ذلك النصرانى أو اليهودى.

وتسقط الجزية عن المسيحى الـذى يدفع ضريبة الدفـاع لبلده.. وعن المسيحى الـذى يقـاتل مع المسلم جنبـا إلى جنب دفـاعـا عن الوطن.. وقـد حارب معنا المسيحيـون بالفعل فى الهجمـة الصليبية الماضية.

والله لايعـاقب الـذى لم يقتنع بـالإسـلام واختـار دينـا آخـر.. لايعاقبـه فى الدنيا وإنما يدخـر عقابه لـلآخرة لأنه ساعتهـا سوف يعاقب نفســه بنفسه حينما يرى الله ويرى أى جنـة ورضوان حرم نفسه منها.. « كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا».

والإسـلام دين حريـة بمعنى الكلمة.. لأن المسئـولية فى الآخـرة سوف تنبنى على تلك الحرية فى الدنيا.

وهذه الزوبعة بمـلاحقة الناس والتفتيش فى ضمائرهم وعقولهم جـريمـة لا تليق بمســلم مستنير وهـو عمل ضــد الـدين وضـد الإسلام.

والفكر يـرد عليه بفكر.. والرأى الـزائغ يرد عليه برأى يقـومه.. والضـلال يرد عليـه بهدى.. والعلم النـاقص يرد عليـه بعلم أكمل منه.. أما العودة الى اعتقـال المفكرين وتطليقهم من زوجاتهم بتهمة الزيغ والشطح.. فهو تخلف وتعصب لايليق بمسلم.

وأن تصدر عن المسلمين كل تلك الدعوات الجاهلة.. هى مسألة تدعو للنظر وهى تدل ولاشك على الخواء الدينى وعلى نقص المعلومات الدينية الضرورية للمسلم وعلى تقصير جهات الدعوة فى بلدنا وتقصير الصحافة وتقصير التليفزيون فى توصيل المعلومة الإسلامية فى رحابتها وسماحتها وسموها للقارىء والمستمع والمشاهد.

والإسلام فكر وحوار وتدبر وتأمل ومناقشة لكل وجهات النظر.. وليس مجرد تلاوات وتجويد وترتيل للقرآن وزيارات عمرة وإطالة للحى وطقطقة بالمسابح.

التدين حالة وجودية تشمل المتدين بكليته وتنقله من حال الى حال.

والمسلم فى أزمة ترقٍ مستمرة وفى حوار مع نفسه ومع ربه ومع كل مايجد فى عصره من علوم وكشوف وأفكار وفلسفات.

المسلم ليس كائنا كهفيا معزولا فى الماضى.

المسلم ليس مواطنا للعصر العباسى أو الأموى وليس تابعا للخلافة العثمانية المسلم نهر متدفق متجدد لايصحو على يوم مثل الآخر ولاينام على ليلة مثل الأخرى وإنما هو نهر مستوعب مفتوح لكل رافد جديد يصب فيه.. المسلم الذى لايهتم بثورة المعلومات والكومبيوتر وأخبار العالم عبر الأطباق والذى يغلق عقله على مخطوط قديم ولايسمح بطارق العصر وبالجديد فى علوم الفضاء وغوامض الكون ان تطرق بابه مقصر فى واجبه ومقصر فى إسلامه.

إن قرآنه يقول له كل يوم «اقرأ باسم ربك».

ولو أنه قرأ فى علوم الفضاء وتعمق فى غوامض الكون فسوف يزداد إيمانه وتزداد رهبته وخشوعه وتقواه وتزداد صلاته خشوعا وعمقا.

ومزيد العلم للمسلم هو دائما مزيد إيمان.

لاتقاطعوا العصر.. فالعصر عصر مدد وفيض وأنوار متدفقة.

وعصرنا ليس كله دعارة وشذوذا جنسيا وانحلالا وفسقا.. نعم فيه كل هذا.. ولكن فيه أيضا ديمقراطية وحقوق إنسان.. ورؤساء حكومات فى أكبر الدول يُسألون أمام المحاكم.. وفيه فيض غامر من العلوم المثيرة للعقل.. وفيه فنون رفيعة.. وفيه أدب راق.. وفكر متنور..

وإذا كان الله يدع أمريكا رغم ظلمها فلأنها ترصد الميزانيات الهائلة لتلقى فى الفضاء بمنظار مثل.. هابل.. يجوب الفضاء ليفتح أعين العلماء على المجاهيل البعيدة.. هذا عمل فدائى ومال يبذل بسخاء للمعرفة وليس للاستعمار.. وهو بالمفهوم الدينى.. عمل صالح.. ومثل ذلك ما يرصد من أموال هائلة لبحوث علاج السرطان.. ولمعرفة سر الحياة.. واكتشاف الجديد فى عالم الذرة والمجرة والميكروب والنبات والحيوان.. وما يبذل من مليارات لإنقاذ البيئة من التلوث.

إن البحث العلمى ( وتكاليفه بمئات المليارات ) هو القاطرة التى تقود مسيرة التقدم فى العالم كله.. وإذا كنا لانقدر فى بلدنا على هذه التكاليف الباهظة.. فهناك من يقدر عليها.. وعلينا ان نتعلم منه دون خجل ودون عقدة نقص.. فما تفعله أمريكا تفعله بتيسير إلهى.. والله يمدنا عن طريقها.. والله لايستحى أن يستخدم العصاه كما يستخدم الطائعين فيما يريد.

والله يسخر الأبالسة والشياطين ويسخر الملائكة لمشيئته.

ولا يخرج فى الكون أحد عن مشيئته وإن خرج عن رضاه.

وعلى المسلم أن يفتح عقله وقلبه لكل جديد ولو جاء به الخصم الذى لايحبه ولايليق بالمسلم أن يغلق عقله بترباس التعصب وأن

يعيش أسير الأفكار سابقة التجهيز.. والقرآن نفسه لايحض على الأفكار سابقة التجهيز ولايحب الخضوع الأعمى للموروثات.. بل يأمر بإرسال النظر فى كل شيء.

نحن فى حاجة لهذه الروح فى فهم إسلامنا حتى نصبح أهلا للترقى على الدوام.. وأهلا لنزول النفحات.

يقول الحديث القدسى:

إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها

ولايكون المسلم أهلا لتلك النفحات إلابفيض من التقوى وانفتاح كامل من داخله.

وبدون هذه الروح الإسلامية الجديدة التى تسارع لاحتواء العصر سوف يكون البديل مؤلما.. سوف تبادر الجبهة العلمانية لإزاحة الدين عن الطريق باعتباره عقبة كؤودا فى سبيل التقدم كما حدث فى بداية عصر النهضة فى أوروبا وسيكون عندها عذرها.. فهذا الدين جعل منه أصحابه محضنا لتفريخ الرجعية والإرهاب والفكر المعوق..

وسوف تمتد الأيدى بالمعونات وبالمال وبالفتن من الغرب ومن أمريكا ومن إسرائيل لترجيح كفة تلك الفتنة العلمانية ولن يكون الصراع متكافئا.. وستنتصر العلمانية فى مصر بأسرع مما انتصرت فى أوروبا.

بدون هذه الروح الإسلامية الجديدة سوف تتحول مصر إلى تركيا ثانية.

إن البديل مؤلم ولامخرج منه إلابنهضة اسلامية حقيقية وروح إسلامية شابة تجدد شباب هذا الدين وتحيى أجمل مافيه وتطرحه على العالم فى كامل بهائه وسموه كعقيدة رائعة تعطى صاحبها نعيم الآخرة ولاتحرمه من طيبات الدنيا.

يامسلمى العالم لاتدعوا دينكم يضيعه الغوغاء.

وتماسكوا وترابطوا واتحدوا وقفوا وقفة رجل واحد ضد هذا التطبيع الذى لايراد منه سوى التركيع والتمييع والتضييع للوجه التاريخى والعربى والإسلامى للمنطقة بأسرها..

لاتطبيع بدون ضمانات..

لاتطبيع إلابعد جلاء آخر جندى إسرائيلى من الأرض العربية وإزالة المستوطنات وعودة القدس إلى فلسطين وفك الترسانة النووية من على حدودنا.

فلن يصلح ولن يدوم إلا سلام الكرامة.

ولن ينفع التراضى على نصف حق ونصف باطل.

ولن يجدى صلح على تربص.

ولن تلتئم جراح أغلقت على صديد.

وتلك دروس التاريخ.

## أمريكائيل

إن المنطقة العربية واقعة برمتها بين فكى رحى.. بين القهر الأمريكى والمكر الإسرائيلى.. وأمريكا تستنزف كل دولار من مداخيل البترول فى المنطقة مقابل فواتير نفقات القواعد العسكرية التى نشرتها على أرض المنطقة بزعم حمايتها.. مليارات يدفعها العرب لحماية أنفسهم.. حماية أنفسهم من من؟!!.. ولاخطر إلا من أمريكا وإسرائيل..

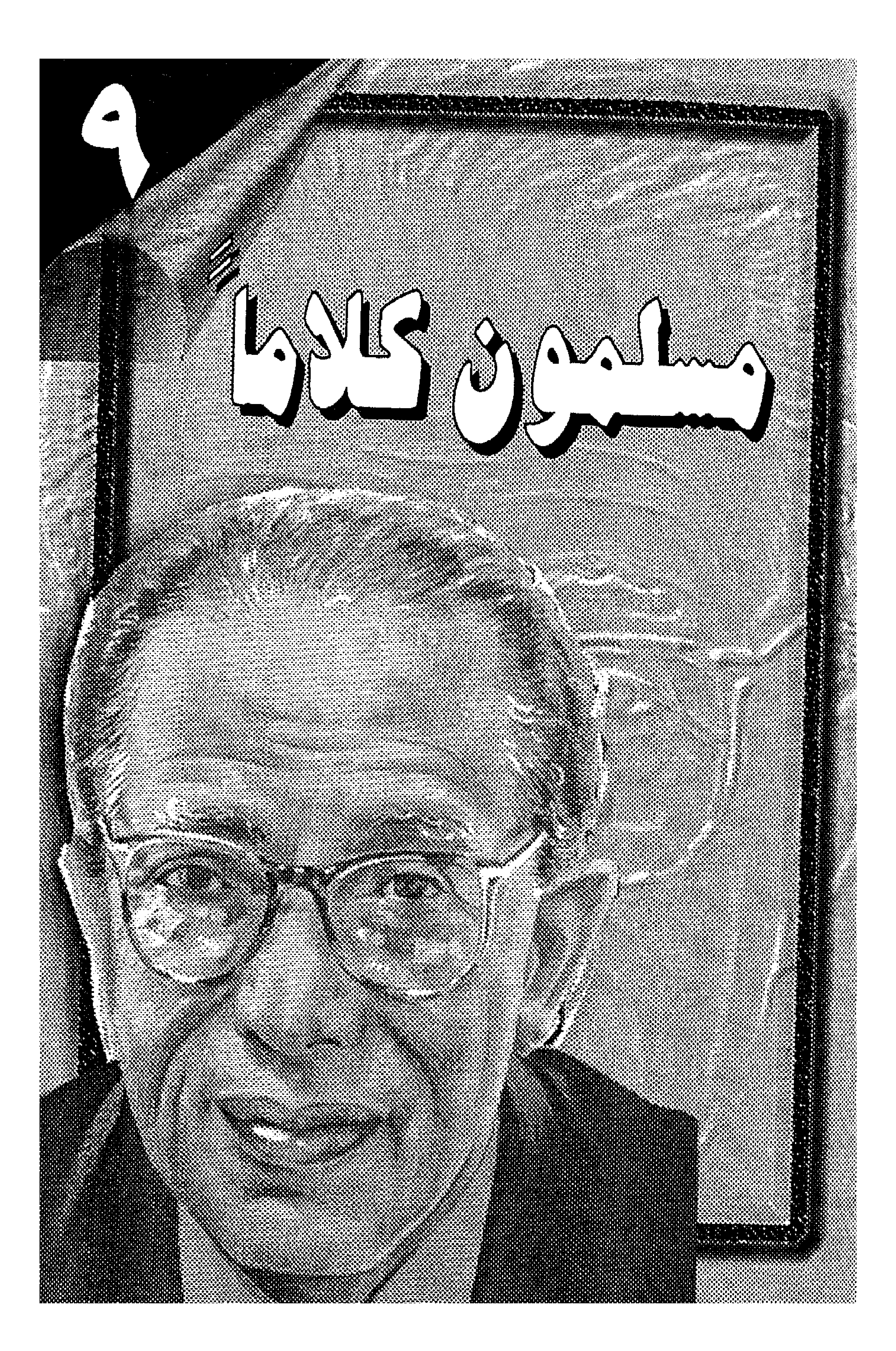
وهم يصنعون «بعبعا» من ايران ومن صدام ومن الإسلاميين.. وهم خيال مآتة.. يضحكون به علينا.. لابتزازنا.. والذى ينفخ فى نار صدام.. وفى نار التطرف الإسلامى.. هم أنفسهم.. وهم الذين آووا الإرهاب وأنفقوا عليه.. والخطر الوحيد خطرهم..

والذى استنـزفنا حتى النخـاع.. هم الاخوة أمـريكا واسرائيل.. أ أو السادة أمـريكائيل.. ومـاخطط الشرق أوسطيـة وأحلاف الأردن والعـراق وإسرائيل وتركيـا.. إلا أحلاف التطـويق والإفقار القـديم الذى كان اسمه حلف بغداد..

هل رأيتم قتيلا يتبرع بدمه لإنقاذ قاتليه

إن هذا القتيل هو (وللأسف الشديد) نحن

وما لنـا من عدو يخشى خطره إلا ذلك الذى احتضنـاه ف وجد وحنان بين أذرعنا.


٩
مسلمون كلاماً

نحن نشهد عصرا عجيبا لاتتورع فيه جهات القضاء من أن توجه المساءلة الى أعلى سلطة فى أمريكا وأوروبا فتتهم رؤساء فى كراسى الحكم بالرشوة والفساد وتقدمهم الى المحاكمة.. جميع الرؤساء فى اليابان من تاناكا الى موريياما اتهموا فى قضايا رشوة وعمولات واستغلال نفوذ.. العائلة المالكة البريطانية كلها ظهرت فى صحف الفضائح.. برلسكونى ومن قبلة جوليو اندريوتى وأربعة آلاف وزير ايطالى اتهموا باستغلال النفوذ وبعلاقات بالمافيا ورشاوى بالملايين.. كلينتون متهم حاليا هو وزوجته فى قضايا أراض وتهرب ضريبى.. ومن قبلة نيكسون أخرجوه من البيت الأبيض بقضية مشهورة.. زوجة ماوتسى تونج وعصابة الأربعة فى الصين.. وبيناظير بوتو فى باكستان.. ورئيس كوريا الجنوبية.. قدموا للمحاكمة ، ووقف الرئيس الكورى يعتذر للشعب عن جرائمه.. ستة وزراء سابقون فى الهند وثلاثة وزراء حاليون فى

حكومة ناراسيما راو مقدمون للمحاكمة الآن.. رئيس كولومبيا ارنستو سامبر مسجون حاليا بتهمة تعاطى أموال من عصابات المخدرات ومعه أكثر من الفين من كبار موظفيه.. رئيس بولنده أولكسى خرج من الحكم فى قضية تجسس لحساب روسيا.. رئيس البرازيل السابق.. ورئيس المكسيك.. حتى شيراك اتهموه فى شقة.. مجرد شقة..

وعلى النقيض من ذلك نجد فى شرقنا العربى السعيد نموذجا مثل صدام حسين سفاحا مجرما جرمه العالم كله.. نراه يتقدم للانتخابات فى بلده فيحصل على أغلبية ٩٩,٩٩٪ لم يحصل عليها خالق الكون جل جلاله حيما طرح على عباده خيار الايمان والكفر.. ونرى عيدى أمين فى أوغنده يقتل ثلاثمائة ألف من خصومه ويقدمهم طعاما للتماسيح وهو يدعى أنه مسلم وأنه يمثل المسلمين فى افريقيا.

هذا الجبروت الذى تحف به القداسة وتحرسه العصمة فلا يجرؤ صوت أن يرتفع ضده ولا قلم أن ينتقده ولا صحيفة فى بلده أن تمسه.. هذا النموذج الذى يفعل ما يشاء من إفك وظلم ولا يسأل عما يفعل.. لا يمكن أن نجد له مثيلا إلا فى العصور الوسطى .

ومثل تلك العصمة والقداسة تنزل دائما بأصحابها وتهبط بالبلد الذى تظهر فيه بينما ترتفع الحرية والنقد والمساءلة بأهلها وبلادها .

وحيثما توجد المساءلة توجد الديمقراطية ويوجد التقدم وتوجد النهضة ويوجد الاقتصاد المتطور والمفتوح .

وحيثما توجد ألوهية الحكام وعصمة الرؤساء يوجد الجمود

ويوجد التخلف ويوجد القهر والمذابح .. ويسود النفاق والمداهنة والشللية.. ويتخلف الاقتصاد.

والدول تتقدم وتنتعش وتعلو بقدر مافيها من مساءلة وبقدر سقوط الحصانة عن كبرائها وسقوط العصمة والتأله عن حكامها.. فلا أحد كبير على المساءلة ولا أحد فوق القانون.

والعصمة لله وحده وهو وحده الذى لا يسأل عما يفعل لأنه وحده الكامل الأبدى الذى لايموت.. أما نحن فكلنا نموت وكلنا أشباح زائلة تشيخ وتمرض ويحف بها النقص من كل جانب وكلنا من التراب بدأنا والى التراب ننتهى.. فكيف يسبغ أحدنا الألوهية والعصمة على نفسه.. وكيف تزدهر الأصنام الا فى أجواء الأكاذيب وعصور التخلف.

إن الذين ارتفعوا وتألهوا وأحاطوا أنفسهم بسياج العصمة.. كيف كانت نهايتهم..؟!!

أطلق هتلر على نفسه النار.. وابتلع جورنج وهملر وجوبلز السم.. وعلق موسولينى عاريا من رجليه.. وأخرج ستالين من التابوت الزجاجى الذى حفظ فيه وألقى به فى حفرة.

إن الزعيم الذكى هو الذى يتخطى بعينيه ضجيج الهتاف والتصفيق وبطانات النفاق والتسبيج من حوله وينظر إلى مابعد.. الى ماوراء كل هذا الهيلمان الكاذب الذى يصنعه الخوف والأطماع والمصالح.. إلى يوم موته وما بعده.. حينما يقول الله لهؤلاء.

« أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون » (٩٣ ـ الأنعام).

« ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء » (٩٤ ـ الأنعام)

هذا هو قرآننا..

وبلادنا العربية المسلمة أولى بهذا المفهوم الديمقراطى المستنير كيف سبقنا الغرب العلمانى الملحد الى هذا الفهم السليم للمسئولية والمحاسبة.. أم أننا مسلمون كلاما.. وهم مسلمون سياسة واقتصادا وأخلاقا.

إننا إذن نستحق ما نحن فيه.

وسنظل غارقين فيما نكره حتى نفيق وحتى نتعلم من أعدائنا ما نسيناه من قرآننا.

وصدق الله العظيم.. « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم» (٢١٦ـ البقرة)

فالبلاء يجرى على الأمم كما يجرى على الأفراد لتصحو وتفيق.

والله يمتحن الكل بالسراء والضراء ليربيهم.

ولا أحد يعفى من سنن البلاء.

وميعادنا جميعا مع الموت قاهر اللذات ومؤدب الملوك.

ولن يفلت من مؤدب الموت مخلوق.

واسألوا أنفسكم.. هل كانت حرب العراق وايران تقوم لو كانت هناك مساءلة جادة لصدام بصددها.. وهل كان يزج بشعبه فى مغامرة غزو الكويت ويتمادى فى جنونه وأمريكا تجمع عليه العسكر من كل جنس ولون.. وهل كان عبدالناصر يغلق مضايق تيران ويخوض حرب تهويش ضد اسرائيل بدون استعداد وبدون خطة.. لو كانت فى مصر ديموقراطية حقيقية ومساءلة ومحاسبة فى مثل هذه القرارات المصيرية.

وهل كان هتلر يلقى بجيوشه لتحارب فى جبهتين فى وقت واحد.. مع انجلترا وأمريكا وفرنسا غربا ومع روسيا شرقا.. لو كان مسئولا أمام برلمان ديموقراطى.

إن التــاريخ كلــه كان يتغير ويكتب من جـديـد لـو كان هـؤلاء المغامرون قد وجدوا رجالا يتصدون لهم ويحاسبونهم.

ولكن الله تـركهم لكبريائهم وعنـادهم ووكلهم لأنفسـهم ليعطيهم درسـا.. وليعطى الشعوب كلهـا درسـا.. ان الحكم لا يصلح الا اذا كان شـورى.. وأنه سبحانـه خلق الخلق شعوبا وقبـائل لتتعارف لا لتتنـازع وتتقاتل.. وأنـه خلقهم أحرارا ولم يخلقهم عبيـدا لبشر مثلهم.

والدرس مـازال يتكرر ويعاد منـذ ثمانية آلاف سنـة.. ولا أحد يفهم.. والحروب مازالت مستمرة.. وقد فعل هتلـر ما فعله نابليون من قبلـه وفعل صـدام مـا فعلـه نيرون وهـولاكـو وكـاليجـولا.. ويلتســين يفعل الآن مـا فعـــله الجبـابرة الغـابـرون.. والجنـون مستمر.

## لفت نظـــر

جاء فى صحيفة «يـديعوت أحرونوت» الاسرائيليـة أن عددا كبيرا من الشابـات اليهوديات أعـربن عن رغبتهن فى الزواج من «إيجال عامير» قـاتل رابين.. ورأين فيه بطلا وطنيا ومـواطنا عظيما يحترم القـوانين اليهـوديـة.. وهـو رأى يعنـى رفضـهم الكـامل لتمثيليـة السـلام العربى الاسرائيلى واحتقارهم لما يجرى بشأنها.

وقـد سمعنـا ورأينـا ما جـرى فى العيـد اليهـودى أمـام الحرم الابراهيمى وشاهدنا ألـوف اليهود يصفقون ويهتفون وينشدون أنـاشيد القـاتل باروخ جـولدشتين الـذى قتل أربعين من المسلمين الراكعين الساجدين فى أثناء صلاتهم بالحرم الابراهيمى.

وفى تل أبيب شاهدنـا صور القاتل باروخ جـولدشتين معلقة فى المتاجـر والمكاتب وصالـونات الحلاقـة فى أطر محلاة بالـزخارف والورود.

وهؤلاء هم الناس الذين تسارع زعامات قطر ومسقط والأردن فى تطبيع العلاقات معهم وتفتح لهم وزارة الزراعة فى بلادنا أبواب أرضنا المصرية يفعلون فيها ما يشاءون فى تطبيع غير مشروط ويتدافع العرب الى مشروع شرق أوسطى وإلى انشاء بنوك وروابط اقتصادية.. الله وحده يعلم بما يترصدنا فيها.

فهلا وقف هؤلاء وقفة استبصار وتفكروا فى طبيعة هذا الشعب الذى تجمع بعد شتات وزرع القنابل النووية والترسانات الميكروبية والكيماوية على حدودنا.. ومازال يرفض الانسحاب من الأراضى التى احتلها ويرمى الجنوب اللبنانى بالقنابل والصواريخ ويغير عليه بالطائرات.. وفى كل شبر أرض تخلى عنه للفلسطينيين أحاطه بالعسكر.. وقد اتخذ من القتلة باروخ جولدشتين وايجال عامير مثلا عليا يقتديها.

إذا كانت هذه قلوب هؤلاء الناس فكيف نأمن لهم.. وكيف نسلمهم مصائرنا..؟؟!!!!

والذين يقولون بأن الحكام فى اسرائيل يتصرفون بعقلية أخرى.. قولهم مردود.. فرابين كان يحمل للعرب نفس المشاعر العدوانية التى يحملها قاتله ولكنه كان يحاول أن يصل الى أهدافه بطريقة أذكى.

واذا كان الشعب فى اسرائيل غير راض عن تصرف حكومته .. فإن النظام فى اسرائيل ديموقراطى.. وسوف يأتى غدا رؤساء منتخبون يحكمون بما يرغب فيه هذا الشعب الكاره الرافض.. ويكون الوقت قد فاتنا وحدث المحظور..

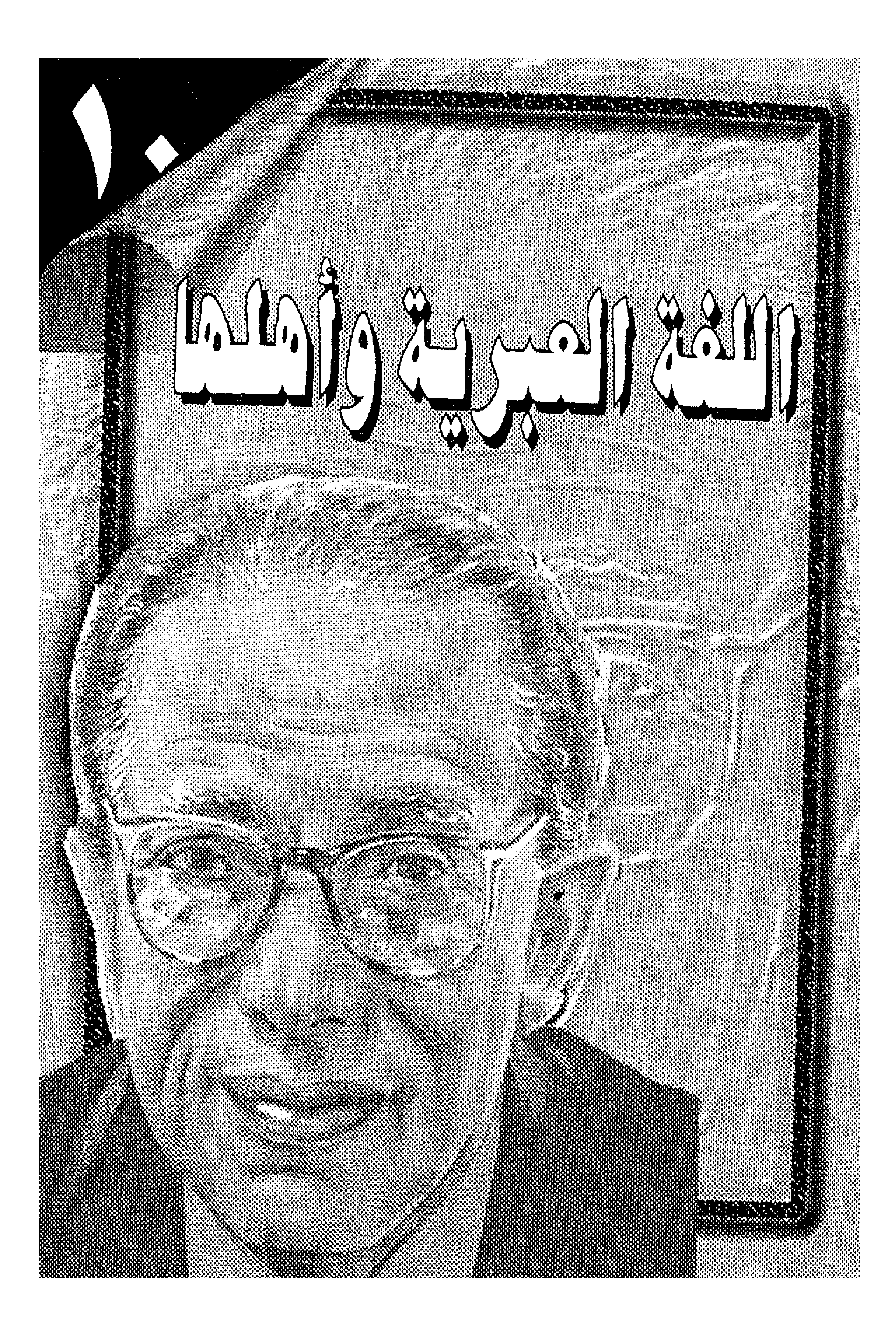
والقول المتفائل بأن اسرائيل لا تستطيع أن تهيمن على المنطقة بحجمها الصغير وتعدادها المحدود هو أيضا قول مردود..

فإسرائيل لن تسود المنطقة وحدها ولكنها سوف تهيمن بالظهير الأمريكى الذى يمدها ويساندها وبالتأييد الأوروبى والغربى بلا حدود لأغراض نعرفها .

إن اسرائيل لم تكن أبدا وحدها فى أى لحظة من أيام وعد بلفور إلى الآن .

ألا يستدعى الموقف بعض الحذر؟!!!

سؤال أطرحه على كل مسئول.



١٠
اللغة العبرية وأهلها

حلقــة العلم والإيمان التى تحدثت فيها عن قــدم اللغــة العربيــة وأصالتها وانها اللغة الأم لكل اللغات أصابــت المشاهدين بالدهشة وطالب الكل باعادتها وذلك لأن الشــائع فى الأذهان بسبب الدعايات الصهيونية المكثفة ان اللغة العبرية أقدم والثقافة اليونانية أقدم.

وقد تعــرض كاتبنا الكبير عباس العقــاد لـهذه الأكاذيب من قبل وقال إن جــلاء الحقيقة لايحتاج إلى جهــد وأن الذى يقرأ الأبجــدية اليــونانيــة فى السفــرين الأولين من التــوراة التى بين أيــدينا اليــوم فسوف يكتشف بلا عنــاء أن الأبجدية اليونانيــة هى نفس الأبجدية العربية بحروفها ومعــانيها وأشكالها.. وهم ينسبون هذه الحروف إلى قــدمــوس الفينيقى وهو فى كتــاب مــؤرخهم هيرودت.. أول من علمهم الصناعات.

والفينيقيــون عـــرب نشأوا فى الخليج العــربى فى بـــلاد النخيل وتحولوا إلى فلسطين وكــانت مدينتهم القــديمة بــاسـم قرطــاجة أو

قرتاشة وهى تحريف كلمة «قارة حداثة» كما سمى اليونانيون مصر جبتوس EGYPT أو قفط أو قبط والقبط هنا لاتعنى النصارى.. فالاسم سابق على مجىء المسيحية.

ونظرا لقدم التوراة بالنسبة للأناجيل اختلط الأمر على الأوربيين فتصوروا أن أسلافهم اليونانيين سبقوا الأمم إلى العلم والحكمة وتوهموا أن العبرانيين سبقوا العرب ونسوا أن توراة اليهود نفسها صريحة فى القول بحداثة اسرائيل وان اسرائيل هى سبط يعقوب ويعقوب وأبناؤه يأتون فى الترتيب بعد اسحاق وبعد إبراهيم.. فالعبرية عمرها أقل من أربعة آلاف سنة من حيث التاريخ وهى سلالة من اللغة الآرامية (العربية القديمة) التى كان يتكلم بها إبراهيم.

وقد سكن العرب الجزيرة العربية من قبل أن يسموا عربا.. وأرجح الأقوال أنهم جاءوا إلى الجزيرة العربية مهاجرين من الحبشة وبادية الشام وأعالى العراق.. والحبشة بأجماع الآراء كانت منزل الإنسان الأول وفيها وجدت أقدم الهياكل والجماجم البشرية.. منذ ثلاثمائة ألف سنة.. ومنها خرجت أفواج الانسان الأول التى تفرقت فى القارات.

وإذا كانت كهوف تسيلى التى اكتشفت فيها الرسوم الجدارية العجيبة التى رسمتها ريشة هذا الانسان فى أوروبا وفى شمال أفريقيا وتاريخها يعود لأكثر من ثلاثين ألف سنة.. فان معنى وجود هذه الفنون المتطورة أن المجتمعات الانسانية كانت قد نشأت منذ هذا التاريخ البعيد.. ونشأت معها بالضرورة لغة التفاهم والتخاطب.

واللسان العربى كان ولاشك أقدم الألسنة.. وأقدم تشريع مكتوب وهو تشريع حمورابى من ٤٤٣٠ سنة وهو مكتوب باللغة الآرامية وهى العربية القديمة.

وغلبة اللغة الآرامية على اللغة العبرية القديمة واضحة مما جاء فى الاصحاح ٣١ من سفر التكوين الذى يقول.. أنهم أخذوا حجارة وعملوا «رجمه» ودعاها لابان «يجر شهدوتا» وأما يعقوب فدعاها جلعيد.. وقال لابان.. هذه الرجمة شاهدة بينى وبينك اليوم.

ومعنى «يجر شهدوتا» بالآرامية «حجر الشهود».. وهى قريبة فى اللفظ والمعنى من اللغة العربية الحديثة.

وقد غلبت الآرامية على العبرية فى المعابد والكتب الدينية فترجمت إليها كتب التوراة والتلمود وكتبت بها بعض الأسفار أصلا فى عهد عزرا ودنيال.. فلما كان ميلاد المسيح كانت الآرامية هى اللغة التى تكلم بها السيد المسيح وأجرى بها الخطاب بينه وبين تلاميذه.. وفى الاصحاح الخامس عشر.. صرخ يسوع بصوت عظيم.. إلوى.. إلوى.. لما سبقتنى (إلهى الهى لم تركتنى)

إن الآرامية بالفعل كانت عربية تلك الأيام.

وقد تعلم اليونان الكتابة وأخذوا رسم الحروف من قدموس الفينيقى العربى.. ولاحاجة بنا إلى برهان فأسماء الحروف اليونانية وأشكالها ومعانيها شاهدة على أصلها العربى سواء كانت فينيقية أو آرامية أو يمنية من الجنوب.. فالأبجدية يسمونها عند اليونان «الفابيتا».. والمعنى واضح.. ألف وباء وتاء.. وهذه الحروف لامعنى لها عندهم.. أما عندنا.. فنعلم أن الألف تذكرنا بلفظ الجلالة الله.. والباء.. البيت.. والجيم.. الجمل.. والعين بالعين.. والفاء بالفم وهكذا فهى عندنا لها أصل.. أما فى اليونانية فهم يكتبونها هكذا نقلا وتقليدا.. وهم يكتبونها من اليمين إلى الشمال كما نكتب.. وكلمة العسكر باليونانية عسكرا.. والعريش لاريسا.. والبرج برجوس.. والكلمة كلاموس.. والقرطاس كريتاس..

والسيرسيرا.. وقد حولوا أسماء الأيام إلى الترتيب العددى أسوة باللغة العربية والفيلسوف اليونانى القديم طاليس كان تلميذا للمصريين فى العلوم الرياضية.. كما درس أفلاطون الفلسفة فى جامعة أون بعين شمس بمصر..

ولم تلبث الفلسفة اليونانية الوليدة بعد جيل أو جيلين أن اصطدمت بالكهنوت فقتل سقراط وتشرد أفلاطون وقضى أرسطو بقية حياته فى عزلة وإهمال.. وحدث نفس الشىء فى أوروبا فى القرون الوسطى حينما اصطدم العلماء والفلاسفة بالكهنوت الكنسى فأحرق برونو وسجن جاليليو.. ولم يظهر فى القرون الوسطى فيلسوف أوروبى واحد فى الوقت الذى تألق فيه الفلاسفة والعلماء والأطباء العرب فى الأندلس وبغداد وظهر فيهم ابن سينا وابن رشد والرازى وابن الهيثم وابن النفيس وجابر بن حيان وغيرهم.

وظل موقف اليونان وأوروبا من الحضارة العربية موقف التلمذة والنقل.. إلى بدايات عصر النهضة.

وكان دخول اليونان فى المسيحية مرحلة أخرى من مراحل التلمذة الروحية على تراث الشرق العربى.. وأوشكت الفتوحات العثمانية أن تفتح بلاد اليونان لولا أن مؤشر التاريخ بدأ ينعكس إلى الغرب.

كان هذا حظ اليونان وأوروبا من التلمذة على الحضارة العربية فى القديم.. أما حظ مصر الفرعونية فيبدو من هذه الكلمات العربية التى ظهرت بنطقها فى الهيروغليفية القديمة.

| ورتا | بالهيروغليفية هى | وردة بالعربية |
|---|---|---|
| زت | « | زيت |
| موا | « | ماء |
| كمل | « | جمل |
| مت | « | موت |
| حنف | « | حنيف |
| صابى | « | صابىء |
| بايت | « | بيت |
| بار | « | بئر |
| سحرا | « | سحر |
| أنتك | « | أنت |
| دَدْ | « | قد (مساوى) |
| حر | « | حر (الظهيرة) |
| بكة | « | مكة |

وقد جاءت كلمة بكة فى القرآن بمعنى مكة بالفعل.

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » (٩٦ ـ آل عمران ).

إن اللغة العربية تركت طابعها على العالم القديم كله.. فكيف نقرأ ونسمع من يقول فى اسرائيل أن اللغة العبرية هى اللغة الأم التى انحدرت منها كل اللغات.

كيف ؟!! وهى لغة حديثة عمرها أقل من أربعة آلاف سنة.. ولغة لقيطة ناقصة عدد حروفها ١٩ حرفا وبعد تطويرها زادت إلى ٢٢ فقط وعدد جذورها اللغوية الفان وخمسمائة جذر لغوى فقط بينما اللغة العربية الأم ٢٨ حرفا وجذورها ستة عشر ألف جذر

لغوى وهــى أغنى اللغات بـالاشتقاق وبعـدد الكلمات والمترادفات.. فكيف يأخذ الغنى من الفقير المفلس.. وكيف يأخـذ الأب العريق من أحفـاده المهـازيـل وقـد سبقهم قبل أن يـوجـدوا.. بل هـو بعض السخف الـذى نسمعه.. مثل قـول بيجن للرئيس السـادات.. نحن الذين بنينا الأهرام.. والسخف الآخـر الذى سمعناه فى فيلم المهاجر من الاسرائيلى الـذى يقول للمصرى.. نحن الذيـن علمناكم فـلاحة الأرض.. كيف والمصرى هو ابن النيل وابن الوادى الخصيب.. وهو أول من أفلح الأرض فى العالم القديم..

ولكنهـا عقـدة العنصريـة وأوهـــام السيـادة وعنجهيـة التفـرد والتفوق فى كل شىءعند اليهود وقـد صاحبتهم هذه العقدة بسبب العصبية والعـزلة والحرص على عدم الاختـلاط وعلى نقاء السـلالة وعلى عدم التزاوج بالآخـرين الا لمصلحة ضرورية.. ولهذا تصوروا أن الله هـو رب خـاص بهم فهو إلـه بنى اسرائيل سـاهـر على بنى اسرائيل وحدهم.

وهم لضعفهم وقلة عـددهم كانوا يلوذون فى كل زمـان بالقبيلة الأقوى ويحتمـون بمصاهرتها من أعدائهم.. فهم فى سفـر التكوين انتسبـوا إلى الآراميين ولما نـزلـوا أرض كنعـان جعلـوا لغتهم لغـة كنعانية.. وقـال أشعيا وهو يتنبأ بغلبة قـومه على أرض مصر.. إنه فى ذلك اليـوم يكـون فى أرض مصر خمس مـدن تتكلم الكنعـانيـة واليـوم هم يلـوذون بأمريكـا.. الـدولـة الاقوى بين دول العـالم.. ويسخرون ذكاءهم لخدمة أهدافها.

ولهذا قال القرآن أنهم هالكون لا محالة «الا بحبل من الله وحبل من الناس ».

وهى إشارة عميقة إلى حرصهم الـدائم على اللواذ بالأقوى.. وان نجاتهم هى دائما فى ذلـك الحبل من الناس الـذى يمده الله لهم من وقت لآخر .

ولكن عنصريتهم وعصبيتهم ظلت تلازمهم .

«للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا » سفر التثنية

بل هم يحصرون العصبية فى أضيق حدودها.

« لا يتحول نصيب اسرائيل من سبط إلى سبط آخر بل يلازم كل وحد نصيبه كما أمر الرب موسى ».

ولا يمكن أن يخرج من هذه العنصرية ومن تلك العصبية القبلية أى عالمية أو أى رسالة إنسانية تدعو إلى خير عام للكل .

يقول أنبياؤهم عنهم.. أنهم شعب ثقيل الإثم.

وفى سفر التثنية.. أنهم شعب صلب الرقبة (من الصلف والعناد والكبر ).

ولا تتسع هذه الحلقات من العصبية والعنصرية بل تضيق.. فهم فى البداية.. الصفوة المختارة من أبناء إبراهيم.. ثم تنحصر الصفوة فى أبناء اسحاق.. ثم تنحصر فى أبناء داود.

ومن أجل ذلك قالوا لا يكون المسيح المنتظر إلا من ذرية داود.

وظلوا إلى عهد الرسولين بطرس وبولس ينكرون على العبرى أن يتناول الطعام مع غير العبرى .

وهم ينكرون كل الانكار أن يتجه أى نبى بالهداية إلى الأمم من غير بنى اسرائيل.. فالهداية لا يجب أن تكون إلا لهم وحدهم .

لامقاسمة فى الخير مع أحد.. ولا مشاركة فى السيادة مع أحد .

ولما قامت لهم دولة أيام داود وسليمان لم تنهض معها ثقافة ولا حضارة وذهبت الدولة ولم تخلف أثرا من آثار الفكر والوجدان.

وقد ظلوا فى دور الشتات عالة على ثقافات الأمم .

وكان سر قوتهم فى تضامنهم وتساندهم.. فهم يتكتلون وراء

من ينبغ فيهم فيظهرونه بأكبر من حجمه لأنهم يملكون كل وسائل الشهرة والرواج والإعلان والدعاية.. فهم يملكون الصحافة ودور النشر وقاعات العرض وشركات التليفزيون والسينما والأقمار الصناعية والانترنت وبيوت المال والبنوك.. ولجان جائزة نوبل وغيرها .

وهكذا صنعوا من بيكاسو أسطورة.. ومن فرويد معجزة.. وهما أقل بكثير من ذلك .

وكان دورهم فى الثقافة العالمية دور المستغل والوسيط والممول والسمسار وليس دور العامل المنتج الذى يعطى ويخلق .

وقد احتكروا كل شىء حتى النعمة الإلهية التى جاءتهم من موسى فلم يحاولوا أن ينشروها بل احتفظوا بها لأنفسهم.. وكان ما أضافوه من عندهم هى علوم السحر والكابالا والشعوذة وعلوم الطالع والتنجيم.. وفى أخبار النبى صمويل أنهم كانوا يقصدونه ليدلهم على مكان الماشية الضائعة وينقدونه أجره على ردها.. فلم يحفلوا من نبوة صمويل إلا بفتح البخت وقراءة الطالع .

وتعترف التوراة أن موسى تعلم من النبى العربى شعيب (نبى مدين )

ويحكى التاريخ أن اليهود كانوا يحتكمون أيام موسى إلى حكيم عربى اسمه بلعام ولعله الحكيم لقمان .. ومن قبل أيام موسى كانوا يحتكمون إلى النبى العربى أيوب .

ويقول هنرى برستد وآرثر ويجال أن داود أخذ مزاميره من نشيد أخناتون الذى سبقه بثلاثمائة سنة.. وأن القبائل العبرية تتلمذت على هداة العرب نساكا ورسلا ومبعوثين وأن العرب فهموا رسالات السماء فهما أوسع وأرحب من فهم تلك القبائل الإسرائيلية لرسالات أنبيائها .

أمـا تركيـز القداسـة فى أورشليم فهى شىء جـديد طـارىء لم يحدث إلا بعد أيام مـوسى بزمن طويل.. وهى الآن دعـوة سياسية أكثر منها دعوة دينية ومحاولة لخلق محور دينى لإسرائيل الكبرى.

يقـول فولتير عن اللغـة العبرية .. إنها لغـة بربـرية مـزيج من الفينيقيـة القـديمة والكلـدانيـة والكنعـانية والآراميـة.. وانها لغـة سـاذجة قليلـة الحروف نـاقصة التصريف ويبلـغ من فقرهـا أنها ينقصها الكثير من الأزمنة فى أفعالها .

وقـد اقتبست العبرية الجديـدة حـرف الغين من اللغـة العربيـة وأضافتـه إلى حروفهـا.. ولم يكن عندهم تمييـز بين الخاء والكاف فاضـافوا حرفـا اسموه الخاف على وزن الكـاف وكتبوه كما تكتب الكاف بعد حذف النقطة.. وليس فى العبرية..

**ث ولا ذال ولا ضاد ولا ظاء**

ولما هدم الرومان هيكل بيت المقدس اتخذ اليهود اللغة اليونانية لغة لهم فى مصر وأوروبا .

وتتلمـذ اليهود على العـرب فى علم الكـلام وفلسفـة اللاهـوت.. وكان ابن ميمـون بمثابة أرسطـو عندهم.. ولما قـال ابن ميمون أن وصـايا النـاصرى ورجل اسماعيل ( يعنى محمـدا) علية الصـلاة والسـلام.. تهدى الإنسان إلى الكمال.. ثـار عليه المتعصبـون منهم ونبذوه .

ووضـع «ابن جبيرول » منظـومـة فى النحـو العبرى على مثـال النحو العربى.

وقد انفـردت اللغة العربيـة بخواص شعـرية لا نظير لها فى أى لغة.. والشعر العربى وحده هـو الذى اكتملت فيه البحور والأوزان والقوافى فى مـازورات موسيقية وايقـاعات من النغم تأخـذ بشغاف القلوب .

ولكن العرب سقطوا لاجتماع الاستعمار الغاشم عليهم ولانقسامهم وتفرقهم وتخلفهم.. وسمعنا عبارات السخرية تقال .

لايفلح عربى إلا ومعه نبى .

لايحسن العرب من أمور المعاش إلا رعى الإبل والماشية.. قالها جيرانفسكى فى خطبة أخيرة فى موسكو.. وقال : علينا أن نعيدهم إلى الخيام من جديد .

وان لم يفق العرب إلى الأخطار والمهالك التى تحدق بهم وإذا لم يرتفعوا إلى مستوى المأساة المقبلة عليهم فإنهم سوف يعودون إلى ما هو أسوأ من الخيام.. فقد كانت خيام الماضى.. هى خيام الحرية والكرامة والاستقلال..

أما الغد.. فإن مفرمة البوسنة.. ومحارق جروزنى فى الشيشان.. والمقابر الجماعية التى قبر فيها خمسة عشر ألف قتيل فى سربرنيتشا.. هى الأمثلة الأقرب إلى روح العصر الغادر الرهيب الذى نعيشه .

واتمنى أن تعيد القناة الأولى للتليفزيون إذاعة حلقة العلم والإيمان عن (اللغة التى تكلم بها آدم) فالخطابات والتليفونات لاتنقطع طلبا لإعادتها ونحن أحوج ما نكون إلى نشر هذا الوعى .

## إسرائيل تستعجل التطبيع

وزارتا الخارجية والتعليم الإسرائيليتان أعدتا خطة مشتركة لزيادة التطبيع الثقافى والتعليمى مع الدول العربية وعلى رأسها مصر والأردن وقطر والمغرب .

وتقارير الموساد تقول بأن الاحساس الشعبى فى مصر ضد التطبيع وأن الجامعات المصرية لا تشجع أى تطبيع ثقافى أو علمى مع اسرائيل وأن أغلب الكليات لا تفكر فى دعوة علماء إسرائيليين

إلى مؤتمراتها وان كلية العلوم بجامعة القاهرة رفضت هذا من قبل ومهرجان السينما المصرية أغلق بابه أمام السينما الاسرائيلية .

والكلام على أن مجلس الشعب الحالى سوف تطرح عليه مشروعات قوانين تساعد على زيادة التطبيع فى هذه المجالات وان هناك أملا فى تمريرها .. وان اسرائيل تأمل فيما هو أكثر.. فهى تسعى لتنظيم مؤتمر للاديان الثلاثة يحضره مسلمون ومسيحيون ويهود من دول مختلفة للعمل على حل عقدة الكراهية بين العرب وبينها .

وإسرائيل تقول إن هناك سلاما بين الحكومات ولا يوجد أى أثر لسلام بين الشعوب بل على العكس هناك رفض.. وهناك زعماء دينيون مازالوا يدعون إلى الجهاد وإلى كفاح الوجود الإسرائيلى .

والسؤال هو ماذا تريد اسرئيل بالضبط ؟؟!!

إن الحب بين الشعوب لايمكن أن يأتى بفرمان والكراهية لايمكن أن تمحى بقرار وزارى .

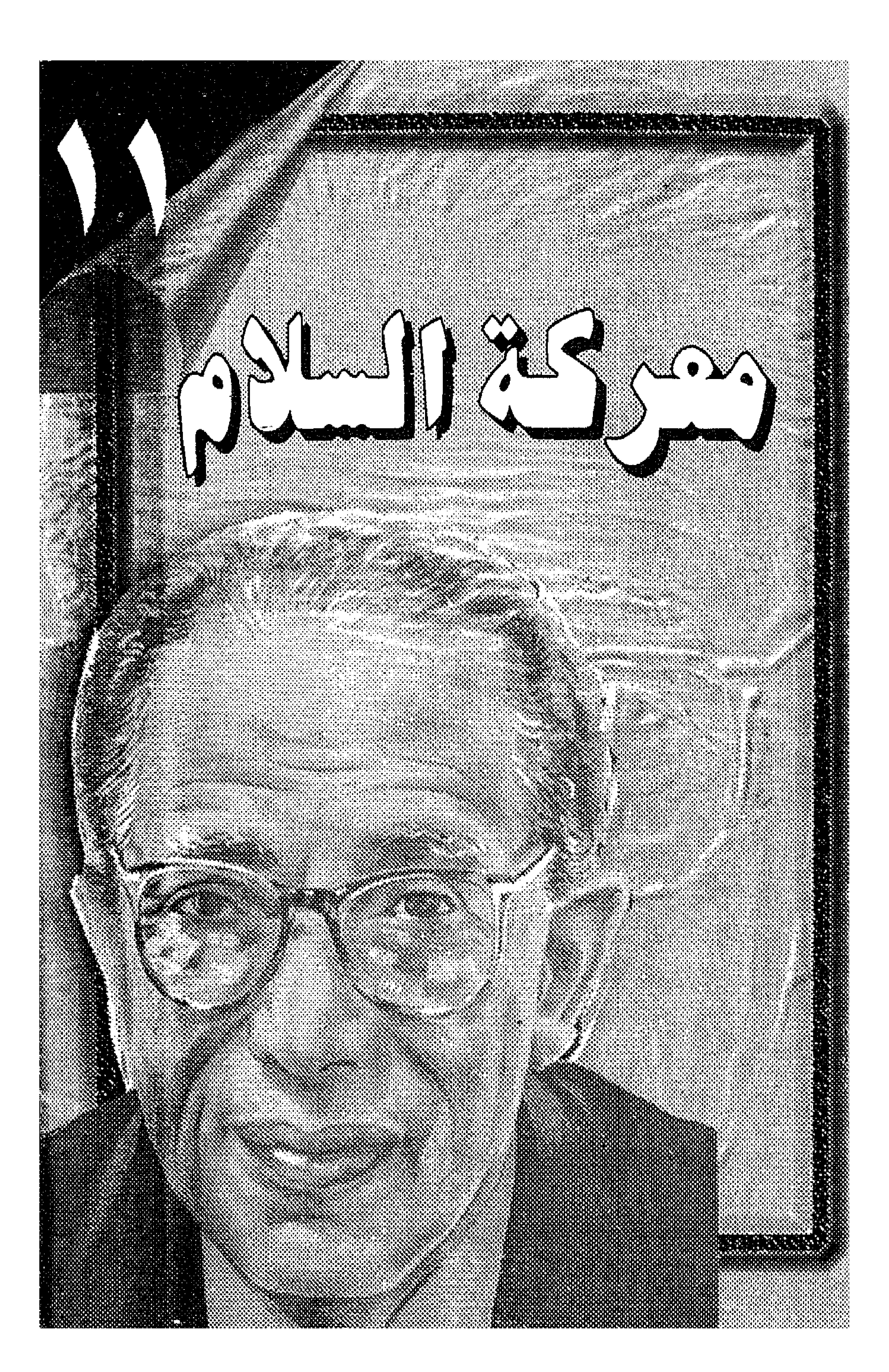
وما تريده اسرائيل بالاديان لخصه بيريز من قبل حينما قال انه يتمنى أن توحد الاديان الثلاثة قبلتها فتتجه كلها إلى بيت المقدس.. ولم يقل لنا لماذا لايتجه اليهود إلى الكعبة التى بناها إبراهيم.. لماذا يكون التنازل من جانب المسلمين وحدهم.. فيتنازلون عن كعبتهم لارضاء السيد بيريز .

ان عقدة العنصرية اليهودية والسيادة والرياسة مازالت تتحكم فى كل تصرف تسلكه اسرائيل.. إننا أمام نازية جديدة.. وجنس مختار من نوع آخر يريد أن يسود ويفرض شروطه ..

وإذا كانت اسرائيل تمد يد الصداقة إلى جميع دول المنطقة ولاتريد من التطبيع إلا إنعاش وازدهار كل دول الجوار.. فكيف نفسر حكاية الجاسوس الذى أرسلته الموساد عبر سيناء ليتجسس ويجمع الأخبار ويوزع الهيروين.. وتفاصيل قضيته واعترافاته تنشر كل يوم بصحفنا القومية ..

هل نشر المخدرات فى مصر هو الإنعاش الاقتصادى الذى تخطط له اسرائيل .. وهل هذه هى يد الصداقة الممدودة .

أريد أن أفهم .


١١
معركة السلام

قوبلت الاتفاقات المبدئية للسلام بين العرب واسرائيل بفرحة مسترخية وتفاؤل عريض واحتفالات ومصافحات ولقاءات عبر الهواء والفضاء والأقمار والصحف وحفاوة مبالغ فيها من الأطراف العربية والأمريكية وكأن المشكلة انتهت وجنة اللبن والعسل فتحت أبوابها.. والهموم انزاحت من الصدور.. ولاخوف بعد اليوم.. وهى سذاجة وتسطيح اعلامى يزيف الحقيقة. فالسلام القائم حتى الآن لايعطى العرب الا قسطا قليلا من الأرض والمياه والحقوق والأمن ويبقى فى يد إسرائيل أكثر تلك الحقوق.. وهو فى مقابل هذا القليل يفتح أبواب اقتصادنا وثرواتنا لعدو تاريخى يستأسد علينا بترسانات ذرية وكيميائية وميكروبية وأسلحة ضاربة متفوقة يضعها على حدودنا بتأييد وسماح من أكبر وأقوى دولة فى العالم «أمريكا» وهى التى لاتسمح لنا ولالغيرنا بشىء من تلك الأسلحة ولاحتى من باب الظن والوهم

ونراها تضرب الحصار على ليبيا وعلى العراق وعلى كوريا الشمالية وتطارد باكستان فى أقصى الأرض على وهم أن عندها شيئا من تلك الأسلحة.. وتفتش فى البحر والبر والرمال بحثا عن ابرة أو فتلة أو أثر يوهم بوجودها.

هذا التحيز المخيف لاسرائيل ولمصالح إسرائيل من طرف رئيسى فى المفاوضات ومن ضامن وحيد لهذه الاتفاقات هو أمريكا وحلفاؤها يجب أن يشعرنا أن تلك الوثائق التى نوقعها فرحين مستبشرين متهللين هى مسكنات ومهدئات وملطفات مرحلية يجب أن نأخذها بالحذر اللازم ونتعامل معها بالحكمة الواجبة..

واتوجه لوزير دفاعنا المشير طنطاوى أن يأخذ هذا السلام بوزنه الحقيقى وينظر اليه فى حجمه الحقيقى ولاينخدع بالمحفل الاعلامى والفبركة الاخبارية والزيطة العالمية ويتابع مايجرى على الخريطة على الأرض حيث تساوم إسرائيل على المتر الذى تتخلى عنه وكأنها تقطعه من لحمها فهى تنظر إلى الأرض الفلسطينية التى تردها على أنها أكثر من أرضها.. على أنها لحمها وهى تملأ الأراضى التى تتنازل عنها بخوازيق المستوطنات.. ومايجرى على أرض الواقع لايريح.. ولكنه يدعو إلى الحذر والاحتشاد للمستقبل.. فالسلام القادم ليس وليمة لبن وعسل بل معركة باردة للهيمنة والتسلل والاستيلاء على المقدرات الاقتصادية للمنطقة.. ثم وضع المنطقة كلها تحت سيف الارهاب الذرى والتخويف الأبدى من الترسانة النووية والتفوق العسكرى الاسرائيلى.

إن رابين وقف فى الكنيست ليتنصل من القول بأن الاتفاق الاسرائيلى الفلسطينى مقدمة أو بداية لدولة فلسطينية.. وقال فى آخر تصريح له قبل مقتله إن مفاجأة حرب أكتوبر لن تتكرر وأن إسرائيل لن تدخل حربا خاسرة بعد اليوم.

إنه رغم هذا التفوق العسكرى ورغم أسلحة الدمار الشامل التى يملكها ورغم المساندة العسكرية والسياسية الأمريكية من أكبر قوة حليفة.. كان على حذر وكان يقول إن إسرائيل يجب أن تظل على حذر من جيرانها وأنها يجب ان تفتح عيونها على آخرها حتى لايأخذها أحد على غرة.. فماذا نقول نحن وماذا يقول جيرانها الضعفاء المعزولون بلا معين.. ماذا يقولون وهم الأولى بهذا الحذر.. والأولى بأن يتحدوا والأولى بأن يسندوا بعضهم بعضا وأن يستعدوا وأن يأخذوا هذا السلام بوزنه الحقيقى بعيدا عن الضجيج الاعلامى وبعيدا عن البشارات العريضة التى تتناقض مع النذر الواردة فى جميع الكتب السماوية الثلاث.. بأن إسرائيل ستعلو ثم ستدمر نفسها..

أليس هناك ألف سبب وسبب لنفتح عيوننا على آخرها ونزن كل خطوة تخطوها إسرائيل بميزان العقل ولانكون ذلك الحمل الوديع الذى يفتح باب الحظيرة للذئب ويدعوه لأكلة برسيم شهية.. يصلح بها خصومات الماضى القديم.

ولقد دعوناهم فى شرم الشيخ على مائدة عالمية فانقلبت القرارات العالمية نارا ودمارا على لبنان ودعما لاسرائيل وتشجيعا لها على حصار الفلسطينيين والتنكيل بهم وتجويعهم وترويعهم.. وقد جعلوا من كل فلسطينى يكافح الاحتلال ارهابيا يحل قتله.. وتلك أخلاقهم.. وهذا دأبهم.. فكيف نأمن لمعاهداتهم.. وكيف ننام على مواثيقهم.

وكيف ننسى.. وتحت الرمال أسرانا الذين أعدموا فى مجازر سيناء.. لم تبل عظامهم بعد..

إننا مازلنا نتعامل مع أعداء تاريخيين يريدون استئصالنا.. وكل مايقال عن السلام أكاذيب.

# الصـــين

الصين هى الكعبة الجديدة والقبلة التـى تحج إليها وفود الدول الغربية وسفراؤها ووزراء خارجيتها ورؤساؤها.

إنها الآن أكبر سوق استهلاكى لبيع السلع وأكبر مجال مفتوح للاستثمارات وأكبر بورصة للفرص وللمشروعات الضخمة والمغامرات المالية العملاقة.

والصيحة الجديدة بين دول الغرب الآن هى.. اقفز إلى القطار الذاهب إلى الصين.. ولايهم أن تكسب اليوم أو غدا فمستقبلك مضمون وأموالك سوف تعود إليك مضاعفة.. فقط.. لاتضيع الفرصة.

والصين قارة كبيرة غنية بكل شىء.. البترول ، المعادن ، الخامات، الأرض الخصبة، الأنهار، الأيدى العاملة الرخيصة (أكثر من ألف مليون) حوالى ربع التعداد السكانى للعالم كله.

وسياسة دنج شياو بنج الانفتاحية الذكية التى خلعت الثوب الشيوعى فى هدوء وحطمت الجاكتة الجبس التى كانت تسجن الاقتصاد فى شعارات «ماو» الفارغة.. فعلت كل هذا دون أن تقع فى الخطأ الروسى القاتل الذى هدم المعبد على من فيه.. فلم تغير الشعار الاشتراكى بل قالت فى مكر دبلوماسى إن هذه هى اشتراكيتنا المثلى كما نراها بمنظارنا نحن.. وهكذا فتحت الباب لأكبر قفزة رأسمالية فى التاريخ ولأكبر تطوير حضارى.. تحت نفس الشعارات القديمة.. وبنفس الأشخاص.. وبنفس الزعامات..

وهو نفس مافعله السادات ولكن على نطاق أكبر وأشمل وأوسع.. على نطاق قارة بأكملها.. وكانت النتيجة.. أعلى نسبة من التنمية فى العالم.. (بلغت النسبة فى إقليم جواندونج عشرين فى المائة).. وهو رقم أسطورى.. للعلم نسبة تسارع التنمية فى أمريكا

وأوروبا متوسطها أربعة فى المائة.. وجوانـدونج مجرد إقليم فى جنوب الصين إلى جوار هونج كونج عـدد سكانه ٦٥مليونا.. وهناك عشرات الأقاليم غيره معدل تسارع التنمية بينها حوالى ١٤٪.. ومعنى هذه النسب العالية.. أن الصين بعد سنوات قليلة أقل من أصابع اليد الواحدة سوف تصبح أكبر قوة اقتصادية فى العالم.. وسوف تتراجع أمريكا وأوروبا إلى الوراء لتصبح منطقة وسطى متواضعة بين العملاق الصينى وبين الدول النامية.

ولهذا لايستغرب ذلك الغزل بين الساسة الأمريكان وبين الصين منذ أيام نيكسون.. وذلك التقرب والتودد رغم ملف حقوق الانسان السيىء الذى لم يكن يعجب بوش.. ولاغرابة فى أن نرى كلنتون يتغاضى عن هذا الموضوع ويلحس الملف القديم فى مقابل علاقات اقتصادية أوثق وأسواق جديدة أكبر وشركات أمريكية تدعى إلى الوليمة الصينية.

لقد أصبحت الصين هى الأمل الوحيد لعلاج البطالة وإصلاح ميزان العجز التجارى فى أمريكا وأوروبا.. ورأينا إسرائيل ترابط على أبواب بكين.. بل وتسرب إليها من باب الرشوة أسرارا تكنولوجية أمريكية.. تثور بسببها أمريكا وتهدد وتتوعد.. لكن إسرائيل تعلم أن تعاظم القوة الاقتصادية الصينية معناها تعاظم القوة السياسية.. وهى تخطط لتدخر لنفسها حليفا قويا فى المستقبل.

أين مصر فى هذا السباق المحموم؟!..

لقد زار الرئيس مبارك الصين ولكنه قطع زيارته وعاد مسرعا بسبب الزلزال.. وأرجو أن تتكرر الزيارة على مستويات رئاسية ووزارية.. وعلى مستويات لجان متخصصة.. إن الأمر جد خطير.. ومصلحة مصر تستدعى توسيع العلاقات مع هذا العملاق الآسيوى الذى سوف يغير خريطة القوى فى العالم.. ليس بعد قرن

من الزمان.. وإنما فى حياتنا.. وفى الأمد القريب المشهود.. والمصلحة تستدعى منا أن نقفز فى قطار الصين السريع.. فهناك فى تلك القارة الهائلة يجرى أسرع تطور حضارى عرفه العالم.

## الفتح الإسلامى الثانى لأوربا

سوف يكتب التاريخ أن الاسلام لم يدخل أوروبا فى غزوته الثانية.. بسيف ولابمدفع.. وإنما بسيرة عطرة وكتاب.. أما السيرة فهى لرجل مناضل ومارد من مردة التنوير اسمه على عزت بيجوفتش.. والكتاب كتابه.. الإسلام بين الشرق والغرب..

رجل وقف مع صحابته يصد عن أوروبا حرب الكراهية وسهام الحقد المسموم وحملات التخلف التى شنتها صليبية غبية.. ثلاث سنوات يحارب وحده لتظل كلمة لا اله إلا الله وراية الحب والرحمة والعدالة والحرية.. هى راية أوروبا وليس راية الجاهلية وشعار أسود الغاب.

وبينما كان الاسلام يبعث من جديد فى أوروبا.. كان يختنق فى موطنه وفى بلاده فى أوحال الارهاب والفتن وفى حرب مخابرات أجنبية وفى شباك عنكبوتية وسلام مريب تصنعه أمريكا وإسرائيل لتدخل المنطقة كلها فى ادغال ليل طويل.

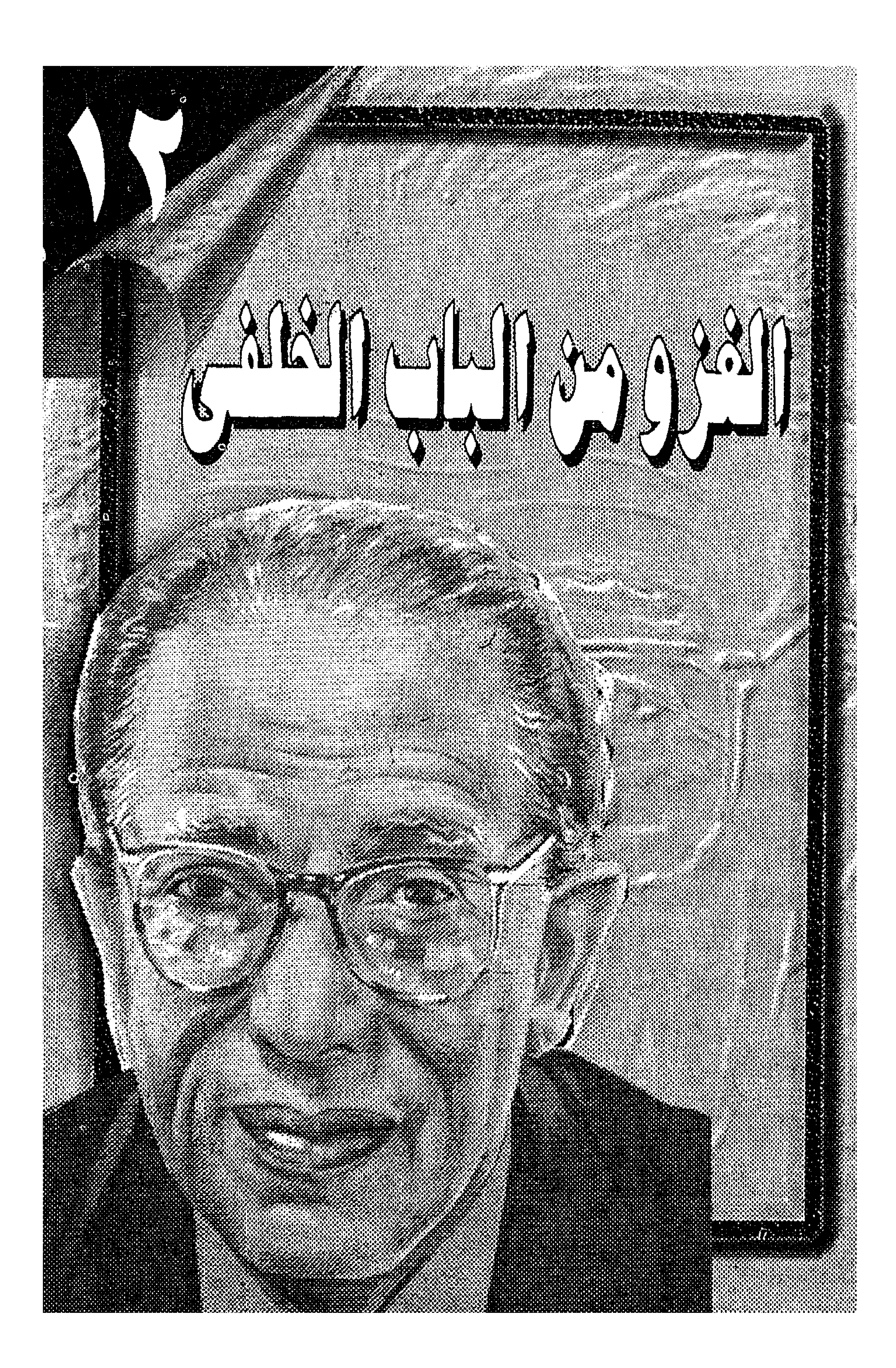
وسوف يكتب التاريخ أن هذا الليل الطويل قد اخترقه الفجر رغم كل شىء وأن كلمة لا اله إلا الله قد سادت رغم كيد الكائدين.. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون.

هكذا كتب الله فى الأزل

« لأغلبن أنا ورسلى »

« وإنَّ جندنا لهم الغالبون »

ولايملك التاريخ الا ان يسمع ويطيع فليس للكون مالك آخر غير رب العالمين..



١٢
الغزو من الباب الخلفي

الـذى يتأمل ما حـدث للشـارع فى موسكـو ومـا حدث للنـاس وللسلوكيـات العامة ولطمـوحات المواطن الـروسى العادى يكتشف أن الهزيمة فى روسيا وصلت إلى النخـاع وأن المواطن الروسى خلع الثـوب السوفيتى وخلع الأيـديـولوجيـة السـوفيتية ولبس الثـوب الأمـريكى والتفكير الأمـريكى والطمـوحـات الأمـريكيـة.. الجينـز والهامبورجـر والمكدونـالد والـديسكو والعـربات الفـارهة والعنف والمافيا والقتـل من أجل الدولار.. والنسـاء الروسيات خلعـن لباس العمال الخشـن ولبسـن لباس الإثارة والسكـس والرقص فى الحانات لما بعد الفجر ومضـغ اللبان والمجاهرة بالشذوذ.

غـزو ثقـافى كـامل.. وركـوع للقيم الأمـريكيـة.. وعبـادة للنمط الامريكى.. وتسبيح للإله الأمريكى.. صاحب الجلالة الدولار.

ومثل هذا الغزو حدث بدرجات متفاوتة فى كل مكان من العالم.

وكـانت السينما الأمـريكيـة والأفلام الأمـريكيـة والمسلسـلات

الأمـريكيـة هى رأس الحربة فى هـذا الاختراق الـذى وصل الى قلب بـاريس على ظهر «الـديزنى لانـد» الفرنسيـة لدرجـة أدت الى قلق الحكام الفرنسيين وأدت بـالرئيس الفرنسى الى التصريح بضرورة فـرض قيود على دخـول الفيلم الأمـريكـى خـوفـا على القـوميـة الفـرنسيـة والهويـة الفرنسيـة.. بل وعلى اللغـة الفـرنسيـة التى تـدهورت على لســان رجل الشارع وخـالطتها الألفـاظ الانجليزيـة والنطق الأمريكى والخنافة الأمريكية..

هنـاك إذن حالـة من العاميـة الأمريكيـة والسوقيـة الأمريكيـة تنتشر ببطء فى أوروبــا.. وتتسلل عبر الحواجـز لتصل الى آسيــا وتغـزو الهنـد والفلبين وتـايـوان وانـدونيسيـا والـدول النـاميـة وتصطـدم بســور الصين العظيم، فـــلا تستطيع اختراق القـوميـة الصينيـة.. وفى الصين يحدث العكس، يمـد العمـلاق الصينى يـده ليسرق أغلى ما فى أمـريكا.. التكنـولوجيـا والكمبيوتر.. ويـأخذ من حريـة التجارة ومن اقتصـاد السوق بقـدر مصلحته.. ثم يـرفض البـاقى ويغلق على نفســه الأبواب.. وتفعل اليـابـان نفس الشـىء، ويتطـور الاثنـان الى عمـلاقين.. كل واحـد محصن داخل قـوميتـه ويقف منتصبا فى مواجهة أمريكا ليقول.. أنا هنا..

والصين هى العمـلاق القادم الـذى سوف ينـافس أمريكـا على القطبية.. وأمريكا تحسب لها من الآن ألف حساب.

أمـا أفريقيـا فلا وجـود لها على خـريطة المنـافسة.. واستراليـا مجرد كوكب تابع لشمس الغرب..

أمـا شرقنا الأوسط السعيـد فكلـه ملفـوف بالـرايـة الأمريكيـة المتعددة النجـوم.. تقوده بـالقروض والمعـونات وبعصـا اسرائيل.. وهو مخترق من القمة الى القاع..

وقلاع العـروبة والقـومية والـوحدة سقطـت كالأشبـاح بهزيمة

عبدالناصر.. والرمز الوحيد الباقى الذى يقاوم هذا الغزو الأمريكى/ الاسرائيلى المكتسح هو الاسلام..

والاسلام بطبيعته غير قابل «للأمركة» وغير قابل للتهويد.. وهو خصم غير هين..

وكانت الحيلة الأولى للتغلب على الاسلام هى تشويهه بإلصاق تهمة الارهاب والإجرام بكل ما هو اسلامى بدءا بمفجرى المركز التجارى الأمريكى.. وانتهاء بإمداد هذا المسلسل الدموى بالجديد من الانفجارات كل يوم..

وانكشفت الحيلة حينما اتضح أن الشيخ عمر عبدالرحمن كان يتقاضى مرتبا شهريا من المخابرات الأمريكية.. وأن كل الارهابيين كانوا يتلقون التمويل من أرصدة بالخارج.. وأن الارهاب كله مصنوع.. وأن عصاباته مستأجرة ومجندة.. وأنه صناعة أجنبية صهيونية مائة فى المائة..

وكانت الحيلة الثانية هى الالتفاف حول الإسلام ومحاولة إضعافه بإضعاف اللغة العربية التى هى وعاء الدين ووعاء القرآن، بحجة تطوير مناهج التعليم وإصلاح التعليم والنهوض بالتعليم..

وقد نجحوا كثيرا وحققوا الكثير فى هذا الباب.. وضعف اللغة العربية الذى أصبح واضحا بين شباب المذيعين.. وطغيان العامية فى الشعر.. وسوقية الأغانى.. وضياع النطق العربى السليم.. كلها شواهد على ذلك..

ولكن المعركة لم تحسم بعد..

وسوف تشهد السنوات القادمة هجوما مركزا على الدين ذاته وعلى التربية الدينية وعلى الإعلام الدينى وعلى القيادات الدينية وعلى اللغة العربية.

وسوف تلجأ الصهيونية الى وسائلها القديمة.. اشاعة الانحلال ونشر المخدرات والجريمة والعنف والفيلم الهابط والفن الداعر والاعلام المخرب.. وتهديد كل من يكتب فى حرية بتهمة المعاداة للسامية والتشجيع على الارهاب..

وسوف نرى مزيدا من الكتب التى تعلى من شأن القيم الدنيوية وتكرس المادية وتروج للعلمانية وتشكك فى الدين وتهزأ بالغيب.. وسنرى نماذج من الحفاوة بأمثال سلمان رشدى ونسرين تسليمة ونصر أبوزيد..

والغزو الثقافى سوف يتضاعف بريادة سينما أمريكية مهيمنة تبث قيمها الهابطة فى كل مكان..

والتطبيع سوف يحقن إسرائيل تحت الجلد ويحقن المكر الاسرائيلى فى الماء والهواء والغذاء الذى نأكله، وفى الاقتصاد الذى نزاوله، وفى التخطيط الذى نباشره، وفى العقلية التى نسوس بها أمورنا..

وبيوت الخبرة الأمريكية التى دمرت الاسكندرية بفتوى صرف مجاريها فى البحر.. مثال حى سوف يتكرر فى كل مشروع وفى كل تخطيط مستقبلى، إذا فتحنا الباب للأيدى الاسرائيلية لتعمل معنا وتفكر لنا.. بحكم التطبيع بلا تحفظ.. والثقة بلا حدود..

إن اسرائيل التى أخرجت لغتها العبرية البائدة من القبر، وتدثرت بها لتصنع لها هوية وقومية وإرثا تاريخيا من العدم، لن تكتفى بأقل من السيادة والهيمنة.. لأنها وجود مختلق مصطنع لايمكن أن يستمر فى الحياة إلا اذا امتص الحياة من كل ما حوله.. والخمسة ملايين يهودى إما أن تذوب فى الستين مليون مصرى وهذا مستحيل (لأنها ضد الذوبان والانعدام) واما ان تحاول أن تفكك هذه الملايين الستين الى شظايا بالمكر والفتن.. وهو ما سوف

يحدث.. ولايوجد احتمال ثالث.. والذين يتصورون أن التطبيع فتحة خير.. ينظرون بدون أعين ويفكرون بدون رؤوس.. والبعض من أصحاب رؤوس الأموال وأصحاب الأحلام فى ثراء سريع ومشاريع مشتركة، هؤلاء الذين فرحوا بالتطبيع لا يرون الا المصالح العاجلة تحت أقدامهم ولا يرون خطر الاحتواء الأمريكى الإسرائيلى على المدى البعيد، ولا يشهدون الخراب الذى يخطط لبلدهم..

والسد الوحيد الذى يقف أمام هذا الطوفان الذى يدق على الأبواب هو الروح الدينية فى المنطقة العربية وفى مصر بالذات.. والدين فى مصر هو الذى شيد الأهرام وشيد معجزة الكرنك.. وهو الذى انتصر على التتار وقهر الصليبيين، وهو الذى عبر القنال فى حرب أكتوبر.. وهو وراء موقف التحدى الذى وقفته الملايين من المحجبات رغم المغريات المضادة ورغم التليفزيون والسينما ورغم الموجة العلمانية التى مازالت تحاول أن تكتب على الماء وتنقش على الرمال.. والكل يشاهد ما يجرى فى صلوات العيد وكيف تمتلىء الميادين فى مصر بملايين الراكعين الساجدين المسبحين..

الدين فى مصر حقيقة راسخة.. اسلاما ونصرانية.. وكلاهما ضد اسرائيل.. ويخطىء الحاكم الذى ينسى هذه الحقيقة ويصدق كلام العلمانيين الذى ينصح بالمزيد من التطبيع والمزيد من التطويع والتركيع..

والذين يهرولون الى الحضن الاسرائيلى يهرولون الى حتوفهم..

ولا توجد مصالحة بين الوجود الاسرائيلى الذى جاء بالغزو والاغتصاب، وبين الاسلام.. فكل منهما يرفض الآخر وبشدة..

والإسلام ضد القيم الدنيوية الانحلالية وضد عبادة المال

وضد حياة الغواية والشهوات التى تروج لها الأفلام الأمريكية والغزو الثقافى الغربى والمبادىء التلمودية..

ومع ذلك فالإسلام أبعد الأديان عن التزمت والتشدد، فباب التوبة والاستغفار مفتوح للخطائين طوال العمر الى لحظة الحشرجة.. والقرآن يقول لهم إن الحسنات يذهبن السيئات.. وأن التيسير فى كل شىء هو الأصل والحلال فى كل شىء هو الاصل.. وأن الحرج والتشدد مرفوعان عن المسلم.

والتوبة فى الإسلام تمحو كل شىء حتى الكبائر.. حتى الشرك تجبه التوبة والإنابة..

والضرورات فى الاسلام لها اعتبار، والظروف لها اعتبار.. فأكل الميتة مباح للجائع اذا لم يجد أى وسيلة أخرى لسد جوعه..

وهكذا فتح الإسلام الباب للعقول لتفكر وتجتهد دون تحجر ودون تشدد...ولم ينصب المشانق والمحارق لأحد كما فعل البابوات لعلماء العصور الوسطى..

ولم يضيق الاسلام على المرأة بل وسع عليها والمرأة أيام الرسول كانت أكثر حرية منها الآن.. وكانت تخرج للحرب، وكانت تعمل بالتمريض، وكانت تجلس للفقه وكانت تشتغل بالقضاء وكانت شاعرة وأديبة..

والإسلام شمل بعدله وبره المسلم والمسيحى واليهودى والمجوسى، وامتدت مظلة رعايته لتحتضن الجميع.. وهو لم يحارب من هؤلاء الا من حاربه.

والإسلام دين المستقبل ودين الديمقراطية والحرية والتعددية.. وأى مشروع حضارى لا يستلهم الإسلام وعطاءه لن ينجح فى بلادنا ولن تمتد له جذور فى شعبنا المصرى..

وقد فشل مشروع البعث العراقى/السورى، وفشل المشروع

الاشتراكى الناصرى، وفشلت الوحدة العربية التى استلهمت القومية الغربية لأنها لم تستلهم عطاء الإسلام..

وسوف تتحطم إسرائيل الكبرى على صخرة الإسلام.

ولن ينجح الغزو الثقافى فى إدخال إسرائيل الى القلوب.. فماذا تصنع الكلمات والأغانى والأفلام.. فى السر الذى وقر فى الأرواح وملأ الأفئدة وأضاء ظلمات النفوس، إنها لا أكثر من رسوم على الماء ونقش على الرمال..

وهى لا أكثر من ضباب يتبدد عند شروق شمس الوعى وعند أول ترنيمة المنادى.. الله أكبر..

## أمور مخجلة

الدكتور مصطفى الرفاعى أستاذ جراحة المسالك البولية بطب الاسكندرية وهو أيضا أديب ذواقة وكاتب صاحب رؤية اجتماعية ومغرم بالشاعر الكبير أحمد شوقى.. يشترى كل ما يطبع من دواوينه.. يلفت نظرنا الى اكتشاف..

يقول الدكتور إنه لاحظ مصادفة ان الديوان الذى أصدرته المكتبة التجارية سنة ١٩٧٠ لشوقى جاء أقل خمسين صفحة من الطبعة الأصلية التى أصدرتها مطبعة الاستقامة فى القاهرة سنة ١٩٥٠.

وبتقليب الصفحات فى فضول اكتشفت أن هناك سبع قصائد قد حذفت بكاملها وأن هناك ١٥ قصيدة أخرى شطب منها الناشر ٢٤٤ بيتا وبقراءة الأبيات المحذوفة والقصائد المحذوفة اكتشفت أن الناشر حذف جميع الأبيات والقصائد التى فيها ذكر للأسرة المالكة أو ذكر للدستور أو ذكر لحرية الصحافة.. ومعنى ذلك أن الحذف كان بيد الرقابة .. وأن التعليمات أيامها (وهى أيام عبدالناصر) كانت ألا يأتى ذكر للأسرة المالكة ولا للدستور

ولا لحرية الصحافة.. والأدهى من ذلك.. يقول صاحبنا أنه يوجد الآن فى الأسواق طبعتان حديثتان للشوقيات واحدة أصدرتها مكتبة مصر والثانية أصدرتها مكتبة التربية ببيروت، وكلتاهما صورة طبق الأصل من الطبعة المشوهة التى حذف منها أكثر من ستمائة بيت.. ومعنى ذلك أن تراث هذا الشاعر العظيم فُقد وتعرض للحذف والتشويه..

وهناك قصائد كاملة اختفت مثل.. قصيدة محمد على الكبير.. والخديوى اسماعيل.. والجامعة.. والسلطان حسين كامل.. ودمعة وابتسامة.. وعلى يد الله.. وتهنئة (بمناسبة الكوليرا).. أما القصائد للتى حذف منها ٢٤٤ بيتا فهى كثيرة.. منها مشروع ٢٨ فبراير.. والى عرفات الله.. والأزهر.. وفى سبيل الهلال.. وعيد الفداء.. ونكبة بيروت.. وفى وداع فاروق.. والعلم والتعليم.. وياشباب الديار..

وشهيد الحق.. وتوت عنخ آمون.. والصليب الأحمر.. والمؤتمر الجغرافى..

ويعقب الدكتور على هذا التشويه قائلا:

هل هناك مهانة أو تخلف مثل ذلك؟!

وأنا أرى يا عزيزى الطبيب أنها أكثر من مهانة.. فهى جهالة وسوقية.. فالثروة الأدبية التى تركها شوقى ليست ملكا لعصر ناصرى ولا إرثا لاتحاد اشتراكي، وانما هى ملك للتاريخ، وهى عهدة فى رقبة وزارة الثقافة ووزارة التربية والتعليم والجامعات المصرية، ووزارة الإعلام واتحاد الناشرين ، وكل مسئول عن الحرف العربى.. ولا يجوز السماح بهذا العبث، ويجب أن تُسحب النسخ المشوهة من المكاتب ويعاد طبع ديوان شوقى الحقيقى كاملا، كما فى طبعة ١٩٥٠ التى طبعتها مطبعة الاستقامة..

إن أى تغن بالحرية وبالدستور هو شرف لمصر، وشرف لكل مصرى ، وشهادة لكل عصر ولكل ذوق ولكل عقل يفهم.. والشاعر حر فيما يكتب.. والأبيات المحذوفة روعة.. وهى صروح مجد لتاريخنا.. وهى فوق ذلك تراث لشاعر عظيم.. هل فعلت انجلترا مثل هذا لشكسبير، أو فرنسا لموليير، أو ألمانيا لجوته، أو ايطاليا لدانتى، أو أسبانيا لسرفنتز؟!

إنهم على العكس ينقبون عن سطر مفقود وعن مسودة مهملة لهؤلاء العظماء، ليضموها إلى متاحفهم.

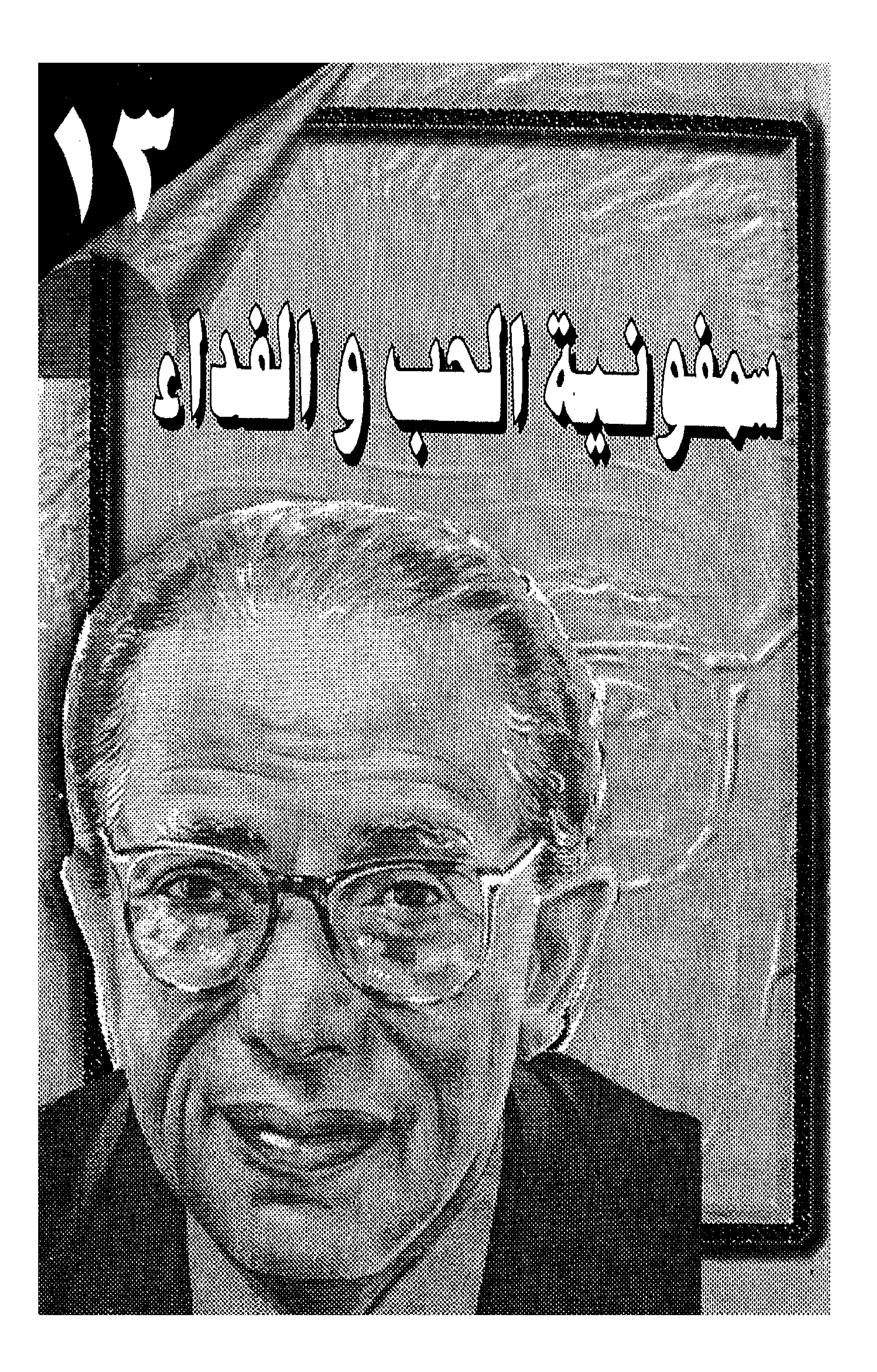
وكلمات عابرة كتبها موليير وهو مخمور لساقية فى حانة.. تباع بمليون فرنك.. انهم يقولون لك.. على هذا السرير رقد بيتهوفن.. وعلى هذا المكتب كتب سيمفونياته.. وفى هذا الطبق كان يأكل.. ومن هذا الكوب كان يشرب.. وبهذا القلم الرصاص كان يخط مسوداته..

وأسأل نفسى دائما.. ماذا بقى من اشتراكية ستالين واشتراكية تيتو، واشتراكية ناصر؟..

لقد أصبحت جميعها سياسات بائدة تحاول شعوبها أن تتخلص منها.. أما شوقى فهو أغنية خالدة.. سوف تظل مسافرة عبر الحدود لتغازل كل الآذان فى كل وطن يتكلم العربية.. وسوف تترجم بعد ذلك لتخاطب كل العقول..

وكان الزعيم العظيم سعد زغلول يقول لشوقى: سوف نمضى نحن وتنتهى مواكبنا.. وتبقى أنت تسكن كل القلوب...

وقد صدق ...


١٣
سمفونية الحب والفداء

الله يقول لنا فى قرآنه

﴿ أينما تولوا فثم وجه الله ﴾

ومعنى الآيـة أن الله ظـاهـر فى آياتـه وفى صنعتـه وفيما يجرى علينا من أقداره.. وأكثر من ذلك أنـه يتجلى بوجهه فى كل شىء من الـذرة الى المجـرة.. يـراه العـارف فى جنـاح الفـراش وفى ريشـة الطاووس وفى تغريـدة الطائر وفى ابتسامة الـوليد وفى تفتح البراعم وفى إشراقة الفجـر وفى وشوشة البحر وفى رقـراق النسيم.. وهو فى كل تجلٍ جمالى يقول.. الله .. الله.. ما أجملك.

والصوفى العارف يهتف مناجيا ربه.

ملأت كل الكون عشقا فما أعرف قلبـا خاليا من هواك

والصوفية معرفة وحب شامل يحتضن الكون وصانعه.

ودين الصوفى إعجاب وإكبار وانبهـار واستغراق وعشق متجدد يحتضن بين ذراعيه الحانيتين كل شىء.

بى منك شوق لو أن الصخر يحمله.
تفطر الصخر عن مستوقد النار .
قد دب حبك فى الأعضاء من جسدى.
دبيب لفظى من روحى واضمارى.

وأخلاق الصوفى هى الرضا بكل ما يجرى عليه من أقدار فكل مايأتى به الله جميل.

فإن شئت واصلنى وان شئت لاتصل.
فلست أرى قلبى لغيرك يصلح.

يقول شهاب الدين السهروردى:

كل صبح وكل إشراق أبكى عليكم بدمع مشتاق
قد لسعت حية الهوى كبدى فلا طبيب لها ولا راق
غير الحبيب الذى شغفت به فإنه رقيتى وترياقى

وحينما قُتل كان يقول فى حشرجة الموت:

قل لأصحابى رأونى ميتا فبكونى إذ رأونى حزنا
لا تظنونى بأنى ميت ليس ذا الميت والله أنا
أنا عصفور وهذا قفصى طرت عنه فتخلى رهنا
لا ترعكم سكرة الموت فما هى إلا انتقال من هنا
ما أرى نفسى إلا أنتم واعتقادى أنكم أنتم أنا

هكذا يبلغ التوحيد ذروته.. فكيف تقتلنى وأنت أنا.. وكيف أوذى نملة وفيها منى.. والنفس الرحمانى سار فى الوجود كله.. والكون كله حى لأنه قائم باسمه الحى فكيف تمتد يد أحد بالعدوان على أى شيء.

ولاتمام للدين إلا بهذه اللمسة الصوفية وهذه الذروة العرفانية وهذا الحب الذى فاض فاشتمل الكون كله.

والدين عندنا ليس مجرد إقرار.. بل شهود.

يقول المسلم أشهد أن لا اله إلا الله.. ولا يقول أقر.

وفارق كبير بين الشهود والإقرار.. الشهود رؤية ومعاينة وذروة يقينية.

إنه المعنى الباطن فى تلك الآية.

﴿ **أينما تولوا فثم وجه الله** ﴾.

هنا شهود لوجه الواحد فى ذلك العرض الكونى المتعدد فى شتات الصور والمشاهد.

هذا السر الذى ينكشف للمؤمن هو لب الإسلام وجوهره وبه تصبح الصلاة نجوى وصحبة وحضرة وأنسا.. ويصبح الواحد فى معية مع الواحد والخلق كلهم فى معية مع الحق.

أين هذا من تدين أهل هذا الزمان فى عالم الكراهية الذى نعيش فيه.. حيث لا يرى كل واحد إلا نفسه ومصلحته وحيث تشتبك المصالح وتتنازع المنافع ويقتتل الإخوة وتضيق الأرض على سعتها ولا يرى الواحد لأبعد من أنفه.. وحيث الصلوات مجرد حركات والتسابيح همهمة من الخناجر والصدقة رياء.. وحيث اليهودية صهيونية ومسيحية الغرب صليبية وحيث حقيقة الدين استعمار واغتصاب وقتل وتشريد وإبادة.

## الجامعة الأمريكية

ومثال لهذا التعصب المقيت ما روته جريدة الأخبار منذ أيام عن طالب الماجستير بالجامعة الأمريكية الذى دخل الى قسم التحقيقات بجريدة الأخبار وراح يوزع استمارات استفتاء يطلب فيها الاجابة على هذه الأسئلة.. ما رأيك فى إذاعة أذان الصلاة فى الإذاعة والتليفزيون هل توافق على ذلك.. وهل توافق على إذاعة الأحاديث النبوية عقب الأذان وهل توافق على استمرار برامج العلم والإيمان

وأحاديث الشيخ الشعراوى فى التليفزيون.. إلا يؤدى ذلك الى إحساس غير المسلمين بالغربة.

والسؤال عجيب فلماذا يشعر غير المسلمين بالغربة وبإمكانهم الانتقال الى سبعه محطات أخرى بمجرد لمسة زرار يختارون منها ما لذ وطاب من التسالى والأخبار والمسلسلات الأجنبية والرقص والطبل والزمر والإذاعات الأجنبية وأفلام الكاسيات العاريات.

لماذا يصورهم لنا الأستاذ الماجستير بأنهم مضطهدون محرومون لا يجدون أمامهم إلا العلم والايمان والشيخ الشعراوى مما يؤدى بهم الى الاكتئاب والغربة.

وأسئلة أخرى يسألها الأستاذ الماجستير طبعا بتوجيه من أستاذه الأمريكانى.

هل توافق على حجم الجرعة الدينية المتخصصة بالصحف اليومية والمجلات الأسبوعية.. ألا ترى أنها تسهم فى إثراء روح التطرف بين الناس ( ومعلوم أنه لا توجد فى مصر جريدة واحدة تدعو الى التطرف ) فالمقصود إذن هى أى جرعة دينية وأى كلام عن الاسلام.. وهذا أمر غير مرغوب فيه من طالب الماجستير ولا من أستاذه الأمريكانى.. فأى دعوة اسلامية أو أذان أو حديث نبوى فى التليفزيون أو تفسير لقرآن هو تشجيع للتطرف وحض على الارهاب.

وسؤال آخر أعجب.. ماذا تسمى المقاتلين فى الشيشان.. هل هم مناضلون أم ارهابيون.

( حتى مسلمو الشيشان فى عرف الأستاذ يجب أن يضربوا حتى الموت وتحرق ديارهم ومدنهم ولا يثورون ) وإلا كانوا ارهابيين.. وثورتهم عند الأستاذ محل تساؤل..

وسؤال آخر .. لماذا عادت موضة قراءة المصاحف فى وسائل

المواصلات العامة.. ألا يعد ذلك إحراجا لمشاعر غير المسلمين.. تلك الروح الاستفزازية.. والأسئلة التى تتهم كل بادرة اسلامية حتى الأذان فى التليفزيون وتلاوة الحديث النبوى.. بأنها أشياء باعثة على التطرف باعثة على اكتئاب وغربة الأجانب الغلابة المساكين.

ماذا نقول نحن يا طالب الماجستير حينما يدير الواحد منا فى غرفته بالفندق فى أوروبا أو أمريكا زرار التلفزيون فتنزل على الشاشة أربع أو خمس محطات تذيع العملية الجنسية بأوضاعها وتفاصيلها.. وحينما نفتح جرائد الصباح فنقرأ شتيمتنا ونفتح المجلات فنقرأ عشرات المقالات التى تسب الاسلام والمسلمين ونرى المجلة تنصح السياح الذاهبين الى مصر بإلغاء حجوزاتهم لأن فى مصر كوليرا وملاريا ودوسنتاريا وسل رئوى ومياه مخلوطة بالمجارى.. ساعتها لم يكن الواحد منا يشعر فقط بالغربة وإنما بالرغبة فى العثور على جحر ضب ليختفى فيه.

شىء من الحياء يا سادة.. ويا أساتذة كبار فى جامعة عريقة مثل الجامعة الأمريكية.. نعتز بها ونعتز بإسهاماتها الثقافية.. وأتساءل أنا بدورى.

هل أصبح أمرا عجيبا مثيرا للتساؤل.. أن تكون هناك ساعة من مائة وستين ساعة أسبوعية من البرامج التليفزيونية المنوعة مخصصة للبرامج الدينية.. ساعة واحدة أو ساعتان.. وفى بلد اسلامى.. وهذ الحصة الهزيلة تصبح هدف استفتاء وتساؤل واتهام من الأساتذة الأمريكان.. ومثار تأفف.. لأن هذه البرامج تشعرهم بالغربة.. طيب ما يغيروا المحطة.. ويريحوا أنفسهم ويريحونا.. والحمد لله مائدة التليفزيون عامرة بما لذ وطاب من الاذاعات الإنجليزية والفرنسية.. وبكل ما يشرح صدر الأجنبى من صنوف الرقص والباليه والاستعراض والأغانى.. أم أنه الغيظ

الكامن والحقد الذى لايطيق صوت مؤذن يقول.. لا إله إلا الله..

ولكنى أعود فأقول بأن التحالف الأمريكى الاسرائيلى هو المسئول.. وهو الذى أحاط المنطقة بسياج من الكراهية ووصم كل ماهو اسلامى بوصمة الارهاب وأثار المسيحى على المسلم وزرع الفتن واشترى الذمم واستأجر البعض على البعض الآخر واستنزف كل الاحتياطى الدولارى العربى وكل الثروات البترولية العربية فى حرب الخليج وزرع قواعده العسكرية فى المنطقة لتبقى الى الأبد ولم يكتف بهذا وإنما هو الآن يحاول أن يقتلع جذور الاسلام من الأرض العربية كلها بغزو ثقافى وتسلل ايديولوجى بطىء فى محاولة تدريجية لتتريك المنطقة وتحويلها الى تركيا أخرى.

ولن ينجح هذا التحالف الأمريكى الاسرائيلى فى أى من تلك الأهداف ولكنه سوف ينجح فقط فى أن يصبح شيئا كريها.. وكابوسا عدوانيا.. يتكفل التاريخ بإزالته.

سوف يفشل هذا التحالف لأن هناك سورا وسياجاً عاليا اسمه.. الاسلام.. لن يقوى على تحطيمه.. لأنه سياج ربانى.. ولأنه نبت الحب والفداء والاستشهاد.

ولأنه الحق..

والحق لا يقوى عليه باطل.

والحب لا تقوى عليه كراهية.

ويعود بنا الحب الى أول المقال.. والى نفحات الهوى الصوفى وأنوار المعرفة.. والى ذروة الدين وتمامه.. والى شهاب الدين السهروردى القتيل.. والى سيمفونية الشعر والى نافورة الحنان التى تقطر بالدم والعطر والى الشوق الآتى من وراء القبور.

أبدا تحن اليكم الأرواح ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم والى لذيذ وصالكم ترتاح

وارحمتا للعاشقين تكلفوا ستر المحبة والهوى فضاح

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء البائحين تباح

وإذا همو كتموا تحدث عنهم عند الوشاة المدمع السحاح

هى خمرة الحب القديم ومنتهى طلب النديم فنعم ذاك الراح

وخمرة الحب القديم هى نشوة النفوس بمخاطبة ربها فى الأزل.. تلك المخاطبة التى ذكرها القرآن فى سورة الأعراف « الآية ١٧٢ ».

**﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم.. قالوا بلى شهدنا ﴾..**

( ويسميه الصوفية.. بيوم « ألست »).

ويقول شهاب الدين السهروردى عن هذا اليوم:

أقسمت بيوم « ألست» فى القدم.

مازلَّ الى غير هواكم قدمى.

قطعى عن الأغيار والسوى صلتى.

وفى وجودى بينكم عدمى.

فهو يرى حياته فى الدنيا بين الأغيار عدما.. ويحلم بيوم العود الى ربه والرحيل عن هذه الديار.

أقول لجارتى والدمع جارى ولى عزم الرحيل عن الديار

إلى كم أجعل الحيات صحبى إلى كم أجعل التنين جارى

وكم أرضى الاقامة فى فلاة وفوق الفرقدين رأيت دارى

إنه يرى الدنيا وكرا للثعابين ومسكنا للحيات والأفاعى.. وهو يحلم بالعودة الى بيته فوق الفرقدين فى عنان السماء.

والى من يريد أن يقرأ المزيد عن هذا الشهاب الدامى فعليه بكتاب الدكتور يوسف زيدان مؤرخ الصوفية وعالم المخطوطات القديمة.. شعراء الصوفية المجهولون.. والكتاب طبعة دار الجيل

إصـدار بيروت.. وفيه المزيـد عن هـذه القمم الشـوامخ.. نافـورات الحب والعطر.. وينابيع التدين الصافى..

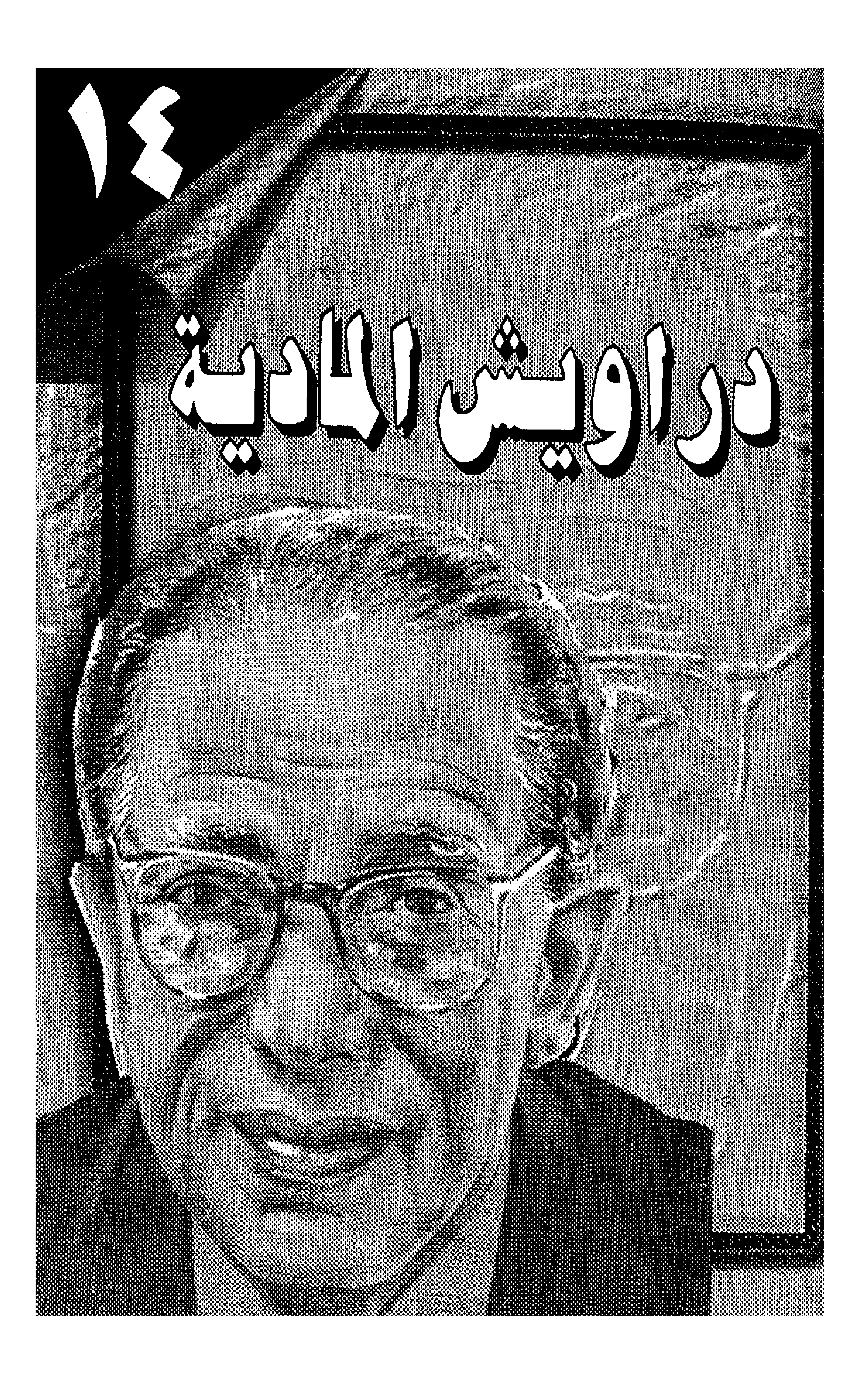
وما أحوجنا لهذه اللغة الهامسـة لهذا الدين الجامع الذى يؤلف ولا يفرق ويبشر ولا ينفر ويصالح ولا يخاصم ويداوى الجراحات ويمحو العـداوات ويؤاخى بين الأبيض والأحمر والأصفـر والأسود فلا يتفاضل فيه الناس إلا بالتقوى.

الدين الـوحيد الـذى ضم فى عباءتـه كل الأديان وجـاء ليخاطب العالمين.

ولكن هناك من لا يريـد أن يسمع صوت.. لا إله إلا الله.. ويقول إن صوت الأذان يشعره بالغربة.

فماذا نملك من أجله؟؟!!

وهل نحن مطالبون بأن نطفىء له الشمس ليرتاح..؟؟!!


١٤
دراويش المادية

تصلنى أحيانا من القراء تعليقات جادة وتساؤلات حول مقالاتى الأخيرة.. والبعض يلتقط عبارات من كتب قديمة صدرت لى منذ ثلاثين عاما محاولا أن يشهد الناس.. كيف كنت منذ ٣٥عاما كثير الشك ثم أصبحت مؤمنا.. ياله من تناقض وجريمة لاتغتفر لمفكر.. ويبدو أن المفكر الأمثل عندهم هو قطعة رخام لاتنتقل من مكانها. أو مستنقع آسن لايتجدد ماؤه . أو حياة خاملة راكدة آلية لاتتطور.

ويتصور الواحد منهم الفضيلة والذمة فى أن يكتشف الكاتب خطأه فلا يصححه ولايرجع عنه.

ويتصور الكمال فى العجرفة الفكرية والجمود والتعصب والثبات ولو على الخطأ (مادام هذا الخطأ فى صالحهم).

ولو كنت مؤمنا تحولت إلى الإلحاد لأخذونى بالأحضان. ولقالوا هذا هو المفكر الشريف بحق.. هذا هو رائد النقد الذاتى.

ولكن لما كان نقدنا لذواتنـا على غير هواهم أصابهم عمى الألوان فرأوا الأبيض أسود، ورأوا الفضيلة رذيلة، والذمة خيانة.

ولقـد حارب خـالـد بن الـوليد ضـد الاسـلام بشراسة وأنـزل الهزيمـة بـالمسلمين فى أحد.. ثم آمـن وحمل لواء الـدعـوة وأصبح سيف الله المسلول، فلم يقل أحد إنه رجل متناقض بلا مبدأ.

وحارب عمـر بن الخطاب الدعـوة الإسـلامية فى بـدايتها بضراوة ثم اعتنق نفس الدين الذى سبه وسفهه وحاربه. فلم يشكك أحد فى إيمانه ولافى صدقه ولافى ذمته.

والإنسان فى شبـابه منـدفع بطبيعته، يـؤمن بالسـاذج البسيط الـواضح الملمـوس أمـامه، ولهذا فهـو يستريح إلى الماديـة والفكـر المادى، لأنها لاتطـالبـه بشىء غير الموجود أمـامـه. فهى تبـدأ من القـريب المحسـوس ولاتتجـاوزه ـ ولاتجهـد الـذهن استخـلاصـا للحكمة من ورائه.. بل إنها لاتعتقد فى وجـود حكمة.. لاشىء سوى المادة التى تتطور تلقائيا بقوانينها الجدلية الخاصة.

والمفكر المادى لايحاول حتى أن يسأل نفسه من الذى وضع فى المادة قوانينها الجدلية هذه.

وهو يرفض الدين لأنه غيبيات.

وهو نفسه غارق فى الغيبيات إلى أذنيه.

بل إن العلم نفسـه الـذى يتشـدق بـه ويحتكم إليـه غـرق فى الغيبيات هو الآخر.

العلم يتكلم عـن الالكترون على أنـه حقيقـة.. ولم يـر أحـد الالكترون.. ولانعلم عن الالكترون سوى آثـاره.. أما الالكترون ذاته فهو غيب.

وبـالمثل الموجـة الـلاسلكية لانعلـم عنها إلا آثـارهـا فى عمـود

الإرسال وجهاز الاستقبال.. لم يـر أحد تلك الموجة الأثيرية ولم يعرف أحد كنهها.

بل الكهرباء ذاتها هى الأخرى طاقة لاشك فيها ومع ذلك فهى مجهولة الهوية تماما.. ولانعرف عنها إلا مجموعة آثارها الظاهرة من حرارة إلى ضوء إلى حركة إلى مغناطيسية.

فإذا قلنا لهم إن الله بالمثل عرفناه بآثاره وإن هويته غيب لم يعجبهم كلامنا.

بل إن المفكر المادى يقول فى جرأة عجيبة.. «فى البدء كانت المادة ثم تطورت المادة إلى كافة صور الحياة والفكر» وكأنه كان موجودا لحظة بداية الخلق متربعا فى كرسى بلكون يتفرج على ميلاد الدنيا.

هو يتكلم عن غيب ويبدأ من غيب.. ولا يملك إلا افتراضات واحتمالات ونظريات.. ثم يتهمنا نحن بالغيبية.

وهؤلاء هم دراويش المادية لاوسيلة لإقناعهم لأنهم لايريدون اقتناعا.. وإنما هم اختاروا الجمود العقائدى وتشنجوا عليه، واستراحوا إلى مافيه من تبسيط مخل وتلخيص ساذج للحقائق الكونية..

وليس أبعث للراحة من اعتقاد الإنسان أنه لامسئولية هناك، ولابعث ولاحساب، وأن له أن يفعل مايشاء لارقيب عليه ولاحسيب سوى البوليس والمخابرات.

ومثل هذه العقيدة المادية أقرب إلى قلب الشباب المندفع الذى يريد أن ينطلق على هواه بلاضوابط، وبلامساءلة.

وليس صحيحا أن الفكر الإلحادى المادى هو الذى أعطانا حياتنا المتقدمة بما فيها من قطارات وعربات وطائرات وصواريخ وراديو وتليفزيون.. فهذه الأشياء هى عطاء العلم.. والعلم تراث

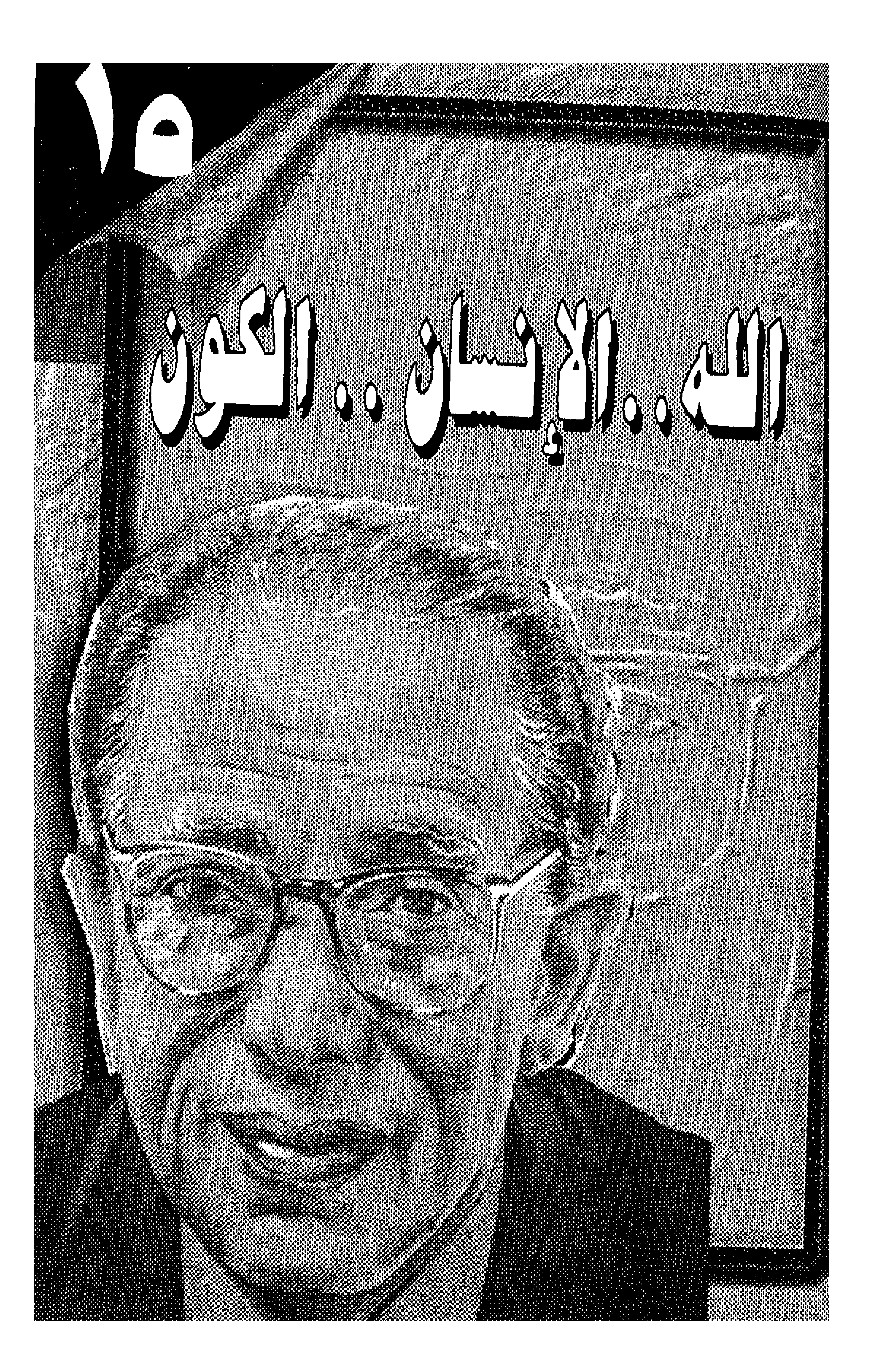
متاح للكل.. ولامـذهب له.. يطلبه رجل الدين كما يطلبـه رجل الفكر من يمين ويسار.

كان العلم يرفع راياته فى مصر الفرعـونية الوثنية كما كان يرفع راياته فى صدر الإسلام.

العلم تـراث بشرى لايستطيع أحـد أن يـدعى ملكيتـه وليس صحيحا أن الدين يناقض العلم.

وديننا يأمر بالعلم فى أول آية من القرآن «اقرأ».

أمـر صريح بـالعلم والتعليم فى أول حـرف نزلـت به تعـاليمنـا السماوية. والعلماء عندنا هم ورثة الأنبياء، وهـم فى القرآن فى درجة الملائكة (شهـد الله أنه لا إله إلا هـو والملائكة وأولـو العلم). والذى يتصور تناقضـا بين الدين والعلم لايعرف ما الـدين ولا ما العلم.. وإنمـا هـو يـريـد ان يختلق لنفسـه مبررا للـرفض. ومـا أسهل الرفض..


١٥
الله .. الإنسان .. الكون

ما هو الانسان..؟ !

هل هـــو مجرد الصــــورة التى تـراهـا لنفسك حينما تنظـر فى المرآة.

هل الانسان هو مجموع ما فيك من شحم ولحم وعظم وأحشاء ومجموع ما تتألـف منه من عناصر ومركبات ومـا ينطوى فيك من غرائز ورغبات وما يعشش فى عقلك من هواجس وخيالات.

هل هو مجموع المنظور والمحسوس والملموس فيك.

لا أظن أن هذا هو أنت.

هـذا هـو مـايظهـر لك ولى ولأجهـزة التصـويـر والاستشعـار المختلفة.. هذا هو مجرد الجانب الشهودى منك.

أما حقيقتك فهى فى «العمق» .. فى الجانب الذى يخفى عنا وعنك وعن جميع أجهزة الإستشعـار وجميع وسائل الحساب المعـروفة.. هى فى الجانـب الغيبى فيك .. فمن هـــذا الجانب يأتيـك المدد لكل

مايظهر ومايتجلى فى أفعالك.. وفيه تفسير الكتاب الجامع الذى إسمه «الانسان».

الانسان يتضمن غيبا خافيا إسمه «النفس».

ونفسك كانت موجودة قبل تتلبس بجسدك وقد استدعاها الله من ظهور أجداد أجدادك قبل أن يظهر لك أب وأم وقبل أن تأتى إلى رحم أمك من خلية ملقحة.

«وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى»

لقد نطقت نفسك ساعتها بدون لسان وشهدت على نفسها بدون جسد وعرفت ربها بدون مخ..

وهذا هو أنت.

ومعنى ذلك.. أنه كان لك حضور غيبى وكانت لك شخصية غيبية كما أن لك شخصية مشهودة هى التى نراها الآن..

ولاعجب فى ذلك فأنت فى الأحلام ترى بدون عينين وتتكلم بدون لسان وتسمع بدون أذن وتمشى بدون أرجل وأنت فى الأحلام تسافر إلى بلاد لم تطأها بقدمك ولم ترها بعينك فيخيل اليك أنك تعرفها من أمد بعيد.

وفى الأحلام تتحدث إليك الشياطين والملائكة.. وفى رؤى الأنبياء يكلم ربنا أنبياءه.. وفى رؤى الناس العاديين تتحدث إليهم نفوسهم الأمارة بما تشتهى.. فكل الأحلام أحاديث.. كل نفس تتحدث على مستواها.. ولهذا سماها ربنا فى القرآن «الأحاديث».. يقول ربنا ليوسف الصديق «وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث» (٦ـ يوسف) فيسمى جميع الأحلام أحاديث.

والنفس طرف مشترك فى كل تلك الأحاديث.

وهى تتحدث بدون لسان وترى بدون عين وتسمع بدون أذن.

وهى تسافر بدون مواصلات.. وتطير بدون أجنحة فترى الأم

إبنهـا فى أمريكـا مـريضا طـريح الفـراش.. دون أى مقدمـات لهذا الخبر.. وذلك أيضا علم بـدون معلم ورؤية لغيب محجـوب.. فيلزم من كل هـذا أن نقول أن الإنسـان وجود غيبى وليس مجرد وجـود مشهـود وأن لـه نفس تستطيع أن تـرى وتسمع وتتنقل بـذاتها.. وذلك هو اللغز الذى اسمـه «النفس».. أما الروح التى هى نفخة الله فى الطين لتقوم تلك النفس من العدم فذلك غيب آخر.. والانسان كل هذا.

ومجىء النفس بأخلاق معينـة وشخصية معينة بخيرهـا وشرها يدل على ثبـوتية اختيار لتلك النفـس فى حال عدمهـا.. حينما كانت مجرد أحد الممكنات.. وذلك غيب ثالث أشد غموضا وأكثر إلغازا.

ولذلـك يحاسب الله النفس على إجرامهـا وشرها لأنـه لم يخلقها مجرمة ولم يجعلهـا شريرة وانما هـى قد اختـارت الشر وأضمرت الاجرام منذ الأزل.. وقبل أن يعطيها الجسد لتفعل ولاتفعل.

يقـول ابن عـربى « أن التشخص أزلى» وأن النفس كـان لها ثبوتية وصـف وثبوتية اختيار منذ الأزل حينما كـانت مجرد «أحد الممكنات»

هناك إذن ثلاثة مستويات مـن الوجود .. مستوى عالم الامكان قبل الخلق ثم الاستدعاء الربانى للوجود.. ثم ملابسة الجسد الذى نعرفه بمواصفاته ثم النفخة التى جعلت منك ماأنت عليه.

ولانعرف من هذه المستويات إلا المستوى الجسدى.. وحتى هذا لانعلم عنه إلا القليل.. أما النفس وحالها فى عالم الامكان.. والنفس حينما استدعاها ربها وألبسها حليـة الجسد.. ثم النفخة الرحمانية وأسرارها.. فكل هذا غيب مطلسم بالنسبة لنا..

وذلك حظنـا القليل التـافـه مـن المعـرفـة لأقـرب شـىء إلينـا.. الإنسان.

وهذه نفسك..

فكيف تدعى معرفة نفوس الآخرين.

وكيف تدعى الاحاطة بالكون.

وكيف يأخذك الغرور بعلمك فتنسى ربك الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك.

فهلا سجدت لله حياء واستغفرت.

## الله ..

لايكتمل إيمان المرء حتى يدرك أن كل مايحدث له من خير وشرهو شفرة يقول بها الله شيئا وهمسة يهمس بها فى أذنه.

وإن يكن الميكروب هو الذى يُمرض فى الظاهر فان الله هو الذى أرسل الميكروب وكلفه بما فعل فى الحقيقة فلا شىء يحدث فى الكون خلسة من وراء خالق الكون .. وطفيل الملاريا فى فم البعوضة جاء مكلفا .. والسقف الذى انهار على السكان فعل ذلك بميقات معلوم وكان من الممكن أن ينهار والبيت خال من سكانه ولكنه فعلها وهم نيام فقتلهم فى ميقات معلوم ولم يقتل الرضيع فى حضن أمه لحكمة مراده .. واللبيب هو من يفهم الاشارة ويلتقط العبارة.

والمرض سجن وهو أحيانا سجن مؤقت وأحيانا سجن طويل وأحيانا سجن مؤبد .. والسجين الملهم هو الذى يعرف لماذا أصدر الله أمرا بسجنه ولماذا خفف عنه الحكم ولماذا عفا منه .. فالخلية السرطانية لاتنشط إلا بأمر من ربها ولاتتوقف إلا بأمر آخر منه .. والجينات التى تحكم الخلية هى مجرد أسباب ظاهرة.. ولايعلم أحد إلى الآن لماذا يكمن الجين وينام ولماذا يصحو ويدمر ومتى يفعل هذا ومتى يفعل ذاك؟

والمؤمن يرد كل شىء إلى مشيئة ربه ويراه ممسكا بمقاليد كل شىء ويرى بيده حركات الذرة والمجرة والفلك الأعظم ومافيه ومن

فيه.. ويراه المريد الأوحد فوق إرادات كل المريدين.. ويرى مايجرى عليه من مقادير.. رسالة خاصة.. وشفرة يخاطبه بها.. ويرى كل شر يصيبه.. فى باطنه خير.. وكل بلاء ينزل به فى مضمونه حكمة .. إن لم تظهر الآن فسوف تظهر غدا أو بعد غد.

ذلك هو الله الرحمن جل جلاله الذى قال .. سبقت رحمتى غضبى.

## الكون ..

هذه الثلاثية كان لابد منها.. «الله والانسان والكون».. ليكون هناك معنى للدراما الكبرى التى تجرى حولنا والتى نقع فى محورها.. فما كان ممكنا أن يخلق الله الإنسان ويعطيه الخلافة على لاشىء.. فما دام الانسان هو أكرم ماخلق ومادام قد أعطاه علم الأسماء كلها (أى علم كل شىء) وسخر له الملائكة والجن والشياطين والشمس والقمر والنجوم فكان لابد أن تكون هناك مملكة لهذا الملك.. أرضا يسكنها وكونا يمرح فيه بعقله وبيئة يسخرها ويستغلها بعقله.. وممالك نبات وحيوان يسود عليها ويعيش على ثمراتها وطيباتها.

وطبيعيا أن يكون هذا الملك العظيم هو محل الامتحان والابتلاء.. على هذا الإنعام .. ومن قبل ذلك كان التدريب الأول فى روضة الأطفال حيما أنزله ربه فى جنة وارفه وقال له : وياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة.. كان هذا هو الدرس الأول فى الطاعة والمعصية.. وكان الله يعلم أن آدم اختار الحرية والتمرد.. وأنه سوف يأكل وسوف يطيع شيطانه.. وكان ضمن الدرس أن يتحمل المسئولية ويدفع الثمن فيطرد من جنته ومعه حواء إلى أرض الابتلاء.

كان ذلك الدرس الأول رحمة وتنبيها إلى عواقب النسيان

والغفلة والخضوع للهوى وقد أراد به وبنسله أن يذكر هذا الدرس.. لأن الخطأ سوف يتكرر والعقاب سوف يتكرر فى مسلسل التاريخ كله منذ بدأ أول مرة ربما من مليون سنة أو أكثر إلى ماشاء الله من دهور وأجيال ربما نحن الآن فى آخرها.. لنشهد ألوانا جهنمية من الشرور والمذابح والمحارق والحروب والمقابر الجماعية لألوف يقتلون وذنبهم الوحيد أنهم يقولون ربنا الله.. ونشهد فى الجانب الآخر ارتقاء مذهلا لذلك الإنسان بمواهبه وقدراته ليقتحم الفضاء ويمشى على القمر ويفلق الذرة ويطير فى صورايخ ويغوص فى غواصات ويبنى المطارات الأرضية والمحطات المدارية المعلقة فى السماء .. والمدن المستقبلة السابحة فى الفضاء.

والامتحان مستمر بل هو الآن أصعب وأشق وأخطر مما كان أيام الأكل من الشجرة فى روضة الأطفال.. والنتائج النهائية تقترب بقيامة شاملة يطوى فيها ربنا السماوات كطى السجل للكتاب.. وتكون الأرضين كلها فى قبضته.

كان لابد إذن من تلك الثلاثية.. الله والإنسان والكون.. ليتم الامتحان ثم ليصنف الناس وفق منازلهم ودرجاتهم فى عالم بلاموت نعيما بلا نهاية.. أو شقاء بلا نهاية.

وما أحسب أن هناك فلسفة أو مذهب أو نظرية استطاعت أن تقدم رؤية متكاملة ومعنى لحياتنا بمثل تلك الرؤية الدينية.

وبدون الدين وبدوة الله.. لا معنى لأى شىء.

أما العلم فإنه لايرى أبعد من حواسه وأدوات استشعاره ولايستطيع أن يفهم لأبعد من حساباته.. وبالنسبة للعلم المادى.. الله فكرة غير مطروحة.. لأن العلم المادى لايملك ميزانا أو مسطرة أو برجلا أو منظارا يستطيع أن يرى به الله جهرة أو يعرف وزنه أو مقداره.. فهو إذن غير مطروح بالنسبة للعلم وأدواته.. وربما

طرح بالنسبة لفلاسفة ماوراء الطبيعة فى شحطات من الظن والتخمين وتصورات لاتتفق بقدر ماتختلف ويكذب الواحد منها الآخر ولاتصل إلى شىء..

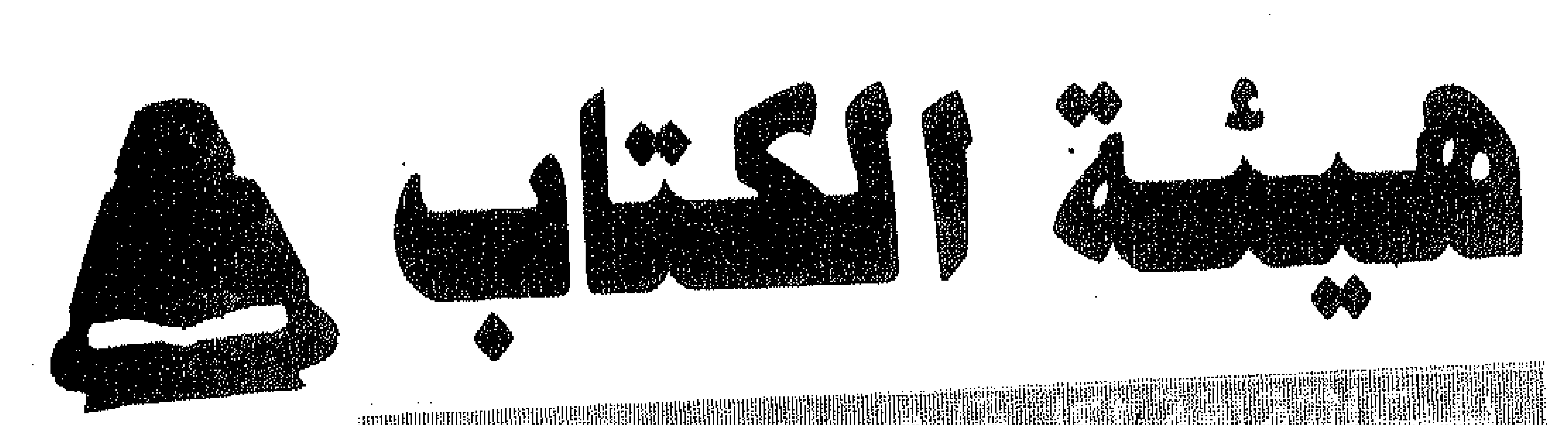
وإنسان العصر الذى يعيش فى دول أوروبا وأمريكا بدون إله.. يعيش حياة رخاء ووفرة ولذة وقوة.. لكنها حياة أقرب إلى الانتحار .. ذلك لأن الخواء يملأها .. واللامعنى فى صميمها.

ولو سألونى .. لماذا آمنت .. نريد منك جوابا فى كلمات .. لقلت فى يقين وبلاتردد .. لأنه بدون الله .. لامعنى لى ولا لأى شىء.

# الفهـــرس

رقم الإيداع ٥٩٧٢ / ١٩٩٦
الترقيم الدولى I. S. B. N
977 - 08 - 0281 - 6

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
كورنيش النيل - بولاق - القاهرة
تلكس جيبو UN ٩٣٩٣٢
القاهرة ت: ٧٧٥٢٢٨- ٧٧٥٠٠٠
فاكس: ٧٥٤٢١٣ (٠٠٢٠٢)




بيت الثقافة لكل قارئ مصرى وعربى

مجلات هيئة الكتاب الثقافية منارات مضيئة فى بحور الثقافة والمعرفة.

● تواصل هيئة الكتاب رسالتها فى باع الثقافة والمعرفة ليس بنشر الكتاب المتميز فقط ولا باقامة المعارض الدولية لكن بمواصلة اصداراتها من المجلات الثقافية التى تقف كمنارات تواصل اشعاعاتها المضيئة لكل قارئ ومثقف ومجلات الهيئة منها ماهو اصدار شهرى وماهو اصدار فصلى كل ثلاثة شهور وهى كما يلى:

## اولا: مجلات تصدر كل شهر:

### القـــاهرة

مجلة الفكر والفن المعاصر شهرية تصدر يوم ١٥ من كل شهر تثير قضايا فكرية تشغل اهتمامات المجتمع الثقافى فى مصر والعالم العربى وتقتحم مجالات متعددة من صور الفكر المعاصر بهدف المحافظة على الايقاع العام لهذا العصر وعدم التخلف عن كل اشكال الرقى والتقدم.

الثمن ٢٠٠ قرش

رئيس التحرير
أ.د. غالى شكرى

### العلم والحياة

مجلة العلم والحياة.. تنقلك الى مواقع اهم الاحداث العلمية.. تتبنى القضايا البيئية وتتابع اللقاءات والمؤتمرات العلمية فى مختلف انحاء العالم.

وبجانب انها مجلة علمية فهى ايضا تحرص على تقديم العديد من الخدمات لقرائها عبر ابواب العلاج المجانى والاستشارات الطبية الى جانب ملحق، العالم الصغير، المخصص للطفل والذى يقدم موسوعة علمية مبسطة للطفل.

الثمن ١٠٠ قرش

رئيس التحرير
أ.د. محمد شرف

### المســرح

وهى المجلة الشهرية الوحيدة فى العالم العربى التى تخصصت فى الثقافة المسرحية على المستوى التخصصى الاكاديمى وعلى مستوى القارئ العادى وهى توفر التغطية الشاملة للعروض المسرحية المصرية وتوثيقها. وبمناهج النقد المسرحى عمليا ابتغاء خلق تيار علمى موضوعى فى النقد المسرحى والدراسات المتخصصة الجادة فى شتى فنون المسرح والنصوص المسرحية الاجنبية المترجمة فى كل عدد الى جانب مقدمات نقدية أو تعريفية فى كل عدد بلد من بلدان العالم وبلقاءاته المختلفة والموضوعات الصحفية ذات الاهمية المعاصرة فى شتى المجالات المسرحية مثل التحقيقات واللقاءات والبورتريهات وتغطية الندوات والاحتفالات والمهرجانات المسرحية وتحليل الاتجاهات الفنية والفكرية التى تبرز فيها.

الثمن ١٥٠ قرشا

رئيس التحرير أ.د. محمد عنانى



### ابداع

تصدر المجلة اول كل شهر فى قطع متميز، وتتبنى مفهوما شاملا للابداع من مختلف مجالاته الفنية والادبية والفكرية.

وتعمل من خلال هذا المفهوم على التواصل مع تراث حركة التنوير المصرية والعربية وعلى إثارة القضايا الملحة من الواقع الثقافى من خلال رؤية تجعل من الحرية شرطا للابداع.

الثمن ١٥٠ قرشا

رئيس التحرير
أحمد عبد المعطى حجازى

### فصول

وهى المجلة الادبية والثقافية التى حققت انتشارا فى مصر والعالم العربى حيث انها تعنى بشئون الادب والنقد الادبى كما انها المجلة الوحيدة التى اعيد طبع اعدادها بعد نفاذ الكميات المطروحة منها بالكامل. وقد وفرت لها الهيئة كل الامكانات الى جانب الطباعة الراقية التى يربو فيها عدد الصفحات اكثر من ثلثمائة صفحة ويقوم على تحريرها نخبة من اعلام الادب والفكر والثقافة من مصر والعالم العربى.

الثمن ٢٠٠ قرش

رئيس التحرير
أ.د. جابر عصفور

## ثانيا: مجلات تصدر كل ثلاثة شهور

### عالم الـــكتاب

تهتم هذه المجلة بالكتاب كصناعة وفكر وتزود القارئ بأحدث البحوث والمعلومات والمقالات الفنية والاحصاءات فى مجال الكتاب وتهدف المجلة الى مسايرة التطور الببليوجرافى المصرى والعربى وتقدم نماذج لتقنيات الوصف الببليوجرافى للمكتبة العربية.

الثمن ٢٠٠ قرش

رئيس التحرير
أ.د. محمد محمد الهم

### علم النفس

تعد مجلة علم النفس احدى المجلات الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، وهى مجلة متخصصة فى مجال الدراسات والبحوث النفسية التى تناقش قضايا الفرد والاسرة والمجتمع والطفل، فضلا عن انها تقدم ثقافة نفسية لغير المتخصصين، كما انها تزود الباحث فى مصر والعالم العربى بالدراسات والبحوث فى هذا المجال.

وهى مجلة فصلية تدخل عامها التاسع دون انقطاع، وتعد الوحيدة المتخصصة على مستوى العالم العربى كله، وتفى لاحتياجات باحثيه ودارسيه.

الثمن ٢٠٠ قرش

رئيس التحرير
أ.د. كاميليا عبد الفتاح

### الفنون الشعبية

مجلة متخصصة فى مجالات المأثورات الشعبية (الفولكلور)، تصدر كل ثلاثة شهور وتنشر الدراسات التى تعرف بهذه المأثورات ومناهجها، والمادة الشعبية المأثورة، وكذلك المتداولة بين الناس. وهى اقدم المجلات المتخصصة فى هذا الفرع من فروع العلم فى الوطن العربى. فقد اسسها ورأس تحريرها عام ١٩٦٥ الأستاذ الدكتور عبد الحميد يونس.

الثمن ٢٠٠ قرش

رئيس التحرير
أ.د. أحمد على مرسى

اصدارات هيئة الكتاب ثقافة رفيعة باسعار رمزية

## هذا الكتاب

■ الكاتب الحقيقى مثل الفيلسوف يجب أن يكون له رأيه الخاص ووجهة نظر خاصة به..

■ ود. مصطفى محمود باعتباره كاتبا وأديبا جادا وقديرا له رأيه الخاص ووجهة نظر يعبر بها فى كل ما يكتبه.. فهو مثلا يرى أن الاجتهاد واجب على كل مؤمن.. وان اغلاق باب الاجتهاد خطأ.. وانه لا يليق بالمسلم أن يغلق عقله بترباس التعصب وأن يعيش أسير الأفكار سابقة التجهيز.. وأن الاسلام فكر وحوار وتدبر وتأمل ومناقشة كل وجهات النظر.. فالاسلام دين حرية بمعنى الكلمة.

■ أما فى السياسة فإن الدكتور مصطفى محمود لا يعتقد أن اسرائيل تريد فعلا السلام مع العرب.. ويقول «إن ما يجب أن نفهمه ونعيه تماما أننا لسنا مقبلين على سلام مع اسرائيل وانما نحن مقبلون على مواجهة.. فالواقع الذى نراه يخالف الأحلام التى تغرقنا فيها شعارات السلام»..

■ المهم.. فإن الكاتب من حقه أن يقول [...] يعتقده بكل حرية.. ونحن من مسئولي[...] واجبنا أن ندافع عن رأيه.. فتعدد الآر[...] للحركة الثقافية.. وهذه هى الحرية الفكر[...] ننشدها.

نبيل أباظ[...]



جنيهات